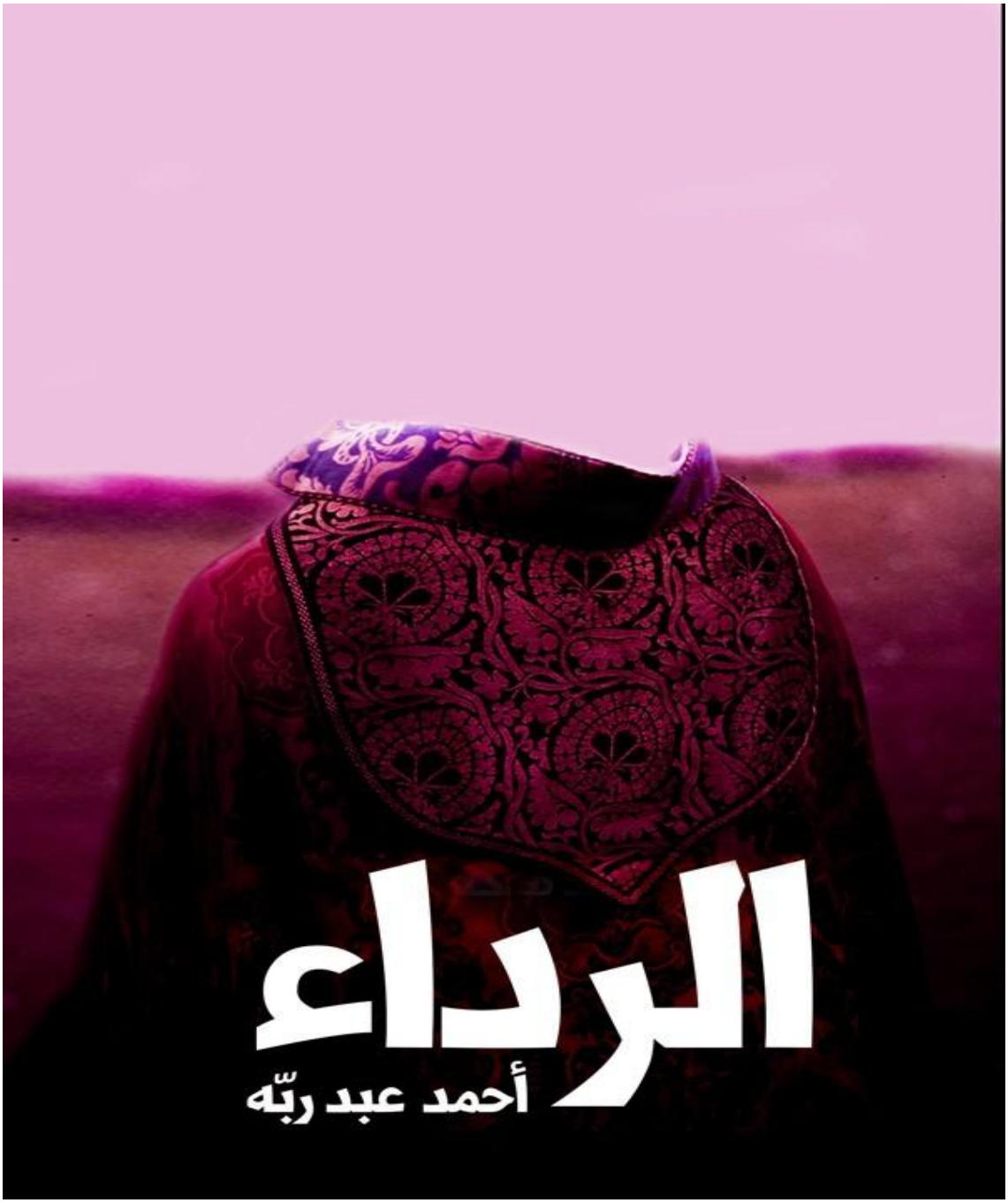
الرداء
أحمد عبد ربّه

الرداء

رواية

رقم الايداع: 2015/21730

رقم الترقيم الدولي : 978-977-6412-84-6

ت: 01099828506 / 01140047174

احمد عبدربه

الرداء

في بلد صغير يقع في وسط الصحراء كان يعيش أُناس فقراء وكان من بين هؤلاء رجل يدعى أبو الفداء

وذات يوم كان كبار البلد مجتمعين يتحدثون في الوضع المحزن الذي وصلوا إليه فقال أبو الفداء:

«يا قوم إن بقينا على حالنا هذا فسنموت كلنا قريبا فالأرض قد صارت قاحلة والآبار اقتربت من الجفاف ونحن لا نحرك ساكنا...إلي متى سنظل هكذا ؟»

فنظر إليه احدهم وساله وهو عابس الوجه اكثر من عبوس وجوه الجميع:
«وماذا علينا أن نفعل؟»

فأجاب أبو الفداء: «علينا ان نذهب ونبحث هنا وهناك عن مكان آخر فهذه الأرض لم تعد صالحة للعيش»

فرد آخر مستنكرا وبنبرة غاضبة:

«ما هذا الكلام الذي تقوله أتريد أن نتشرد ونموت في ارض غريبة...فإن كنا سنموت فلنموت هنا ...على ارضنا...وبين ديارنا وأهلنا...ولا نموت مثل الكلاب الضالة»

فرد عليه أبو الفداء وهو متعجب:

«ومن قال لكم أننا سنموت!، فنحن سنذهب ونبحث فى ارض الله الواسعة عن الحياة... فكما ترون العيش هنا صار قاسيا، فعلى أي شيئ تخافون حتى تقولوا هذا الكلام؟»

فردوا عليه جميعا وهم مستنكرون كلامه وقد ازدادت وجهوهم عبوسا حتى كادت تتشقق: «هذا كلام غير مقبول فنحن لن نترك ارضنا ونموت غرباء»

فتحسر أبو الفداء وقام من المجلس وهو يقول: «حسنا ابقوا كما انتم ونالوا ما كتب لكم».. ثم انصرف وتركهم وهو مهموم وحزين وحين وصل إلى بيته قال لزوجته:

«إن سمعت كلامهم وبقيت هنا فسنموت من الجوع أو العطش يجب علينا أن نفعل شيئ ننقذ به انفسنا وننقذ البلد بأكمله من ذلك المصير المذل»

فسالته الزوجة: «وماذا يمكن أن نفعل يا ترى؟»

فأجابها بثقة وجراءة شديدة: «أنا سوف افعل...سوف اذهب وابحث عن الحياة، فعلى الأقل إن هلكتُ، أهلكُ بشرف...لا أن اهلك وأنا جالس هكذا أبكي حتى يأكلنا الجوع والعطش ببطءٍ وذل»

فسالته الزوجة فى حيرة وقلق: «ولكن ستذهب وتتركنا لمن؟»

فقال: «أترككم في رعاية الله فهو خير حافظا»

فأخذت الزوجة تنظر إليه وهى تشعر بالخوف ثم قالت بعد صمت قليل: «ونعم بالله، ولكنى أرجوك أن تحافظ على نفسك وان تعدني بأن تعود إلينا سالماً»

فقال: «أعدك أنني سأبذل قصارى جهدي حتى أعود بالفرح على هذا البلد كله وعلى الله التوفيق»

فقالت الزوجة: «حقق الله لك ما تتمنى وحفظك بما يحفظ به عباده الصالحين»

«اللهم آمين».... قالها ابو الفداء وهو يشعر بالخوف الشديد مما هو مقدم عليه فالامر ليس اقل من مغامرة يمكن ان تكون انتحارية، فهو سيمشى على قدمه فى صحراء واسعة الى هدفا ليس له اى دليل من دلائل الوجود، ولكن شيء ما بداخله كان يخبره انه يتجه نحو ما يريد بل اكثر بكثير مما يريد ولذلك لم يتراجع مهما رأى من رعبٍ فى عينا زوجتهِ ومهما حاول الخوف ان يسيطر على قلبه

وبالفعل جهز نفسه وحمل أغراضه وانطلق فى وقت طلوع الشمس الى طريق لا يعرفه ولا يعرف مداه

وظل يمشى في الصحراء الشاسعة ذات الحرارة المتوهجة متوكلا على مولاه حتى انهكه التعب فجلس يتناول بعض الطعام الذي أخذه معه من منزله قبل أن يغادر...وبعد أن انتهى اكمل السير في طريقه المجهول بأمله البعيد.

وظل يمشى هكذا حتى حل المساء وازدادت برودة الجو فأوقد النار في بعض الحطب الذي جلبهُ معه أيضا ومكث يتدفأ به ثم دخل في سبات عميق حتى اقترب فجر اليوم الجديد

وفى اليوم الجديد استمر في المشي والبحث عن أي شيئ يوحي بالحياة ولكنه لم يجد سوى الأرض الخاوية

فقد كان يريد إيجاد آبار أو ارض خصبة أو نهر أو بحيرة أو بحر أو أي قرية بها بشر ولكنه لم يجد ولو علامة واحدة تدل على ما كان يريد

وبعد أن استمر على حالهِ هذا لأربعة أيام وقد نفد الطعام والشراب والحطب شعر باليأس وقال فى حزن:

«يبدو أن نهايتي ستكون كما قال أهل البلد... فقد قطعت مسافة ربما لن اقدر على قطعها من جديد وأنا بدون زاد» وجلس على الأرض وبدأ يتأمل ويفكر وهو لا يعرف ماذا سيفعل.

وبينما هو جالس على الأرض ينظر يمينا ويسار اذا بعيناه تلمح من ناحية اليمين شيئا من بعيد وكأنه مرتفع من الصخور.... فوقف على الفور واكمل السير حتى بدا الشيء واضحا لعيناه

وكان ذلك الشيء عبارة عن بيت صغير مبنى من الصخور فأخذ يقترب منه ببطء وحذر حتى وصل إلى بابه

وكان في هذا الوقت الغروب قد حل كاملا فقال لنفسه:

«حمدا لله أنني وجدت ما أبات فيه ليلتي فقد شبعت من النوم فى العراء» ...وبالفعل انار مصباحه الصغير ثم دخله وبدأ ينظر حوله ليتفقد طبيعته فلم يجد فيه اى اثاث سوى شيء جعله يتعجب، فقد وجد فراشا عليه غطاء وكأن أحدا كان يرقد فيه فأخذ يتساءل قائلا:

«يا ترى لمن هذا الفراش ؟ هل هناك احد يسكن هنا ؟» ثم استمر يفكر قليلا وقال بعدها:

«ولكن ماذا يعنيني من هذا، سأنام هنا... وإن أتى احد فربما نساعد بعضنا في إيجاد ما ينفعنا»

وبالفعل استلقى على الفراش المكون من الخوص وغطى جسده بالغطاء الذي كان عليه ودخل في سبات عميق من شدة التعب

وفى منتصف الليل تقريبا اشتد البرد عليه ولذلك استيقظ من نومه وجلس وهو حزين وحيران وأخذ يقول:

«يا ليتني أجد حطب حتى أُحد من هذا البرد الذي سيقتلني قبل موتى جوعا وظمئا» ثم بدأ ينهض وهو يبعد الغطاء من على جسده فإذا بيده تصدم شيئ وتوقعه

فلما سمع هذا الصوت اشعل المصباح على الفور وأخذ ينظر فإذا به يتفاجأ بأنه حطب وكأنه كان متراصا بجانبهِ ويده صدمته فأوقعته فتعجب وأخذ يتساءل:

«ما هذا؟ من أين أتي هذا الحطب يا ترى؟ هل كان موجودا و لم أراه حين دخلت أول مرة؟ أم أن احد جلبه إلى هنا؟»... ثم أخذ ينظر وهو متعجب وظل يفكر لبعض الوقت ويبحث فى ذاكرته ولكنه لم يتذكر شيئ فابتسم وقال:

«المهم أنني وجدت ما كنت ابحث عنه والحمد لله» ... ثم أخذ يحمل الحطب ويرصه جيدا وبعدها اشعل فيه النار ليستلقى على الفراش ويعود الى النوم من جديد حتى مطلع الفجر

وبعد أن استيقظ صلَ الفجر ومكث يدعو الله حتى طلوع الشمس وبعدها قال فى نفسه:

«يبدو أن لا احد سيأتي إلى هنا فلو كان هناك إنسان لما لم يأتي حتى الآن... فربما كان هناك احد وهلك أو رحل إلى مكان آخر...يالا الحسرة» ..ثم قام وقبل أن يخرج لاحظ وجود رداء ملقى بأحد جوانب المنزل لم يلاحظه من قبل حين دخل المنزل في الظلام، فمد يده وامسك به وقال:

«هذا الرداء جيد ومصنوع من جلد سميك فارتداه وهو يقول سآخذه ربما أحتاج اليه حين يشتد البرد»

ثم خرج من المنزل واكمل السير باحثا عن الحياة التي يريدها...وبعد أن مشى قرابة الساعة شعر انه سيموت من العطش فهو لم يشرب منذ يومين فتسائل وهو فى حيرة وحزن وعجز: «يا ترى هل سأجد المنقذ من هذا الجحيم أم ماذا؟ ..فالأكل مقدور عليه...ولكن الماء...كيف سأكمل بدون الماء؟...فأنا أريد الماء وحسب فلن اقدر على السير اكثر بدونه»

وبينما هو يتحدث الى نفسه اذا بشيئ يظهر على مقربة من عيناه وحين دقق فيه بدا وكأنه نبع مياه فقال لنفسه:

«ما هذا الذي أراه، هل هذه هلوسة أم حقيقة».. وأخذ يقترب ناحيته ببطء وهو يحدق بعيناه بشدة حتى وصل إليه ومد يده ليرى هل هو حقيقة أم سراب...وحين لمسه كانت المفاجئة التي أذهلت عقله فقد كان حقيقيا ...فأنشرح صدره وقال وهو يكاد يطير من الفرح:

«انه حقا ماء ....الحمد لله يارب انه لم يكن سراب» ...وبدأ يشرب كالجمل العطشان حتى ارتوى وبعدها اكمل السير وهو يقول:

«يجب ألا أُضيع مكان النبع والمنزل فربما احتاج للعودة إليهما من جديد»

وبعد أن مشى قرابة نصف ساعة أخرى رأى أرنبا بريا مليئا باللحم فقال وهو يبتسم:

«يبدو أن فرج الله قد أتى من كل ناحية...فها أنا وجدت الطعام أيضا... ولكن يا ترى كيف سأمسك به، فأنا احتاج إلى شيئ كي أصيده به».. وبدأ

يفكر ولكنه لم يأخذ فرصة للتفكير، فقد وجد كلبا يظهر بجانبه ويركض مسرعا ناحية الأرنب حتى امسك به وعاد إليه من جديد...فمكث أبو الفداء مذهولا وأخذ يتساءل بعجب شديد:

«ما هذا الذي رأيته؟، هل أنا في واقع أم مازلت نائما؟ ...يا ترى كيف حدث هذا؟ ...فأنا في حيرة منذ أن وجدت الحطب ثم وجدت النبع بعدها....يا ترى ماذا يحدث؟.. هل المنزل فيه بركة والليلة التي نمتها فيه جعلت ما أتمناه يتحقق؟».. ثم أخذ يتأمل قليلا و قال وهو مبتسم:

«ولما أُحير نفسى فعلي أن أُجرب».. ثم استدار باتجاه المنزل وبعد أن مشى عدة خطوات تذكر المعطف الجلد الذي اخذه من هناك وارتداه وتساءل:

«أم أن السر في الرداء الذي أخذته من هناك؟» ثم ابتسم واكمل قائلا:

«ربما يكون رداء الأحلام الذي كنا نقرأ عنه فى روايات الطفولة...يا ليته حقا هو...ولكن ما الداعي للحيرة فسأجرب الرداء أولا و إن لم ينفع سوف اذهب إلى المنزل» وقام بخلع الرداء وقال:

«أتمنى جواد أصيل وقوى الآن»...وانتظر قليلا فلم يحدث شيئا، فاردتاه من جديد وتمنى قائلا:

«أريد جواد أصيل وقوى الآن»... وفى اقل من لحظة وجد جواد اسود قوي وجذاب يقف أمامه فقال وهو يشعر انه سيطير من الفرح:

«إذا هو الرداء، انه رداء الأحلام، الحمد لله...الحمد لله... سوف اذهب الآن إلى أهل البلد وابشرهم واحقق لهم كل أحلامهم، أخيرا سنحيا الحياة التي لم نتذوق طعمها من قبل وسيرى الكل أحلامه صارت واقعا ملموسا...أخيرا سنودع الفقر وستكون أمانينا مجرد كلمة نقولها، الحمد لله على هذه النعمة الغالية»

ثم بدأ يفكر ويتساءل: «ولكن يا ترى ماذا سأقدم؟ لهم وما هي أحلامهم؟» وبعد التفكير لدقائق:

«نعم هذه هي بالتأكيد... سوف اجعل لكل واحد منهم بيت جميل وحديقة فيها من كل الثمرات وبئر خاص به»...ثم تراجع:

«ولكن إن أراد احدهم قصر فلما لا اعطيه قصر... إذا سأعطى كل منهم قصرا بدل البيت»... ثم شعر بالحيرة من جديد:

«ولكن إن كان احدهم لا يريد قصر فهناك من لا يحب البيت الواسع...إذا سأترك لهم الخيار وليقولوا لي أمانيهم وأنا احققها لهم» ثم أخذ يفكر من جديد وقال بعدها:

«ولكن هذا الأمر لن ينفع فهل سأبقى استمع لبحور الأماني التي ستنهال علي وقتها» وشعر بالحيرة الممزوجة بارتباك و نشوة الفرح وامسك برأسه وهو يقول:

«ما هذه الحيرة يا ربى.. ما هذه الحيرة»

واستمر في التفكير فيما يمكن أن يفعله لهم فقد كان يريد أن يعطى لكل واحد منهم ما يريده ولكنه لم يكن يريد أن يشعرهم بالمنة وانه صاحب الفضل عليهم ولذلك بعد التفكير الطويل قال مبتسما:

«اذا هذا هو الحل... فأين كان غائبا عنى»... ثم ركب الحصان بحسن نيته وانطلق به ناسيا انه لم يكن بحاجة إلى ركوبه... فكان يكفى أن يتمنى العودة إلى بلده حتى تتحقق أمنيته

وظل الجواد السريع يركض حتى قطع المسافة وعاد إلى البلد في وقت العصر.. وحين رآه بعض من أهل البلد تساءلوا:

«أين كنت يا أبو الفداء؟ ومن أين أتيت بهذا الجواد؟ وما هذا الرداء العجيب الذى ترتديه؟».. فقال لهم وهو مبتسما وفرحا فرحة المنتصر العائد بالخير:

«لقد من الله علينا أخيرا بما سيحقق ما نتمناه ويجعلنا نحيا حياة لم نكن نحلم بها»

فسألوه في عجب: «كيف هذا؟ قل لنا ماذا تعنى بهذا الكلام، تحدث يا رجل»

فقال: «علينا أولا أن نجتمع لأقول ما أريد قوله أمام الجميع، فهيا اذهبوا ونادوا على الناس ليخرجوا جميعا ونجتمع عند التلة لأحكى لكم ما حدث معي، هيا اسرعوا فالأمر لا يحتمل الانتظار»

فقال الناس في شغف: «حسنا كما تريد»

وانتشروا ليخبروا كل أهل البلد بما حدث وبما يريده أبو الفداء... وبالفعل تجمع الكل عند التلة التي اعتلاها أبو الفداء وأخذ يقول:

«أخيرا يا إخواني قد ارسل الله لنا ما سيبدل حياتنا للأحسن ويعتقنا مما كنا فيه من فقر»..... فساله احد الرجال: «وما هو هذا الشيء؟»

«إنه رداء الأحلام الذي يحقق اى شيئ يتمناه الإنسان».. فلما سمع الناس كلامه اخذوا يضحكون وقال احدهم وهو غاضب:

«هل جمعتنا لتسخر منا يا رجل، ما الذي حدث لك، فلم نعهد منك هذا من قبل»

فتحدث أبو الفداء وهو يهز برأسه يمينا ويسارا: «أنا لا اسخر من احد ولم أجمعكم للمزاح فقد عثرت على هذا الرداء الذي ارتديه وهو يحقق ما يتمناه المرء، وسأريكم الآن أنني صادق في كلامي... هيا فليتمنى احد منكم أي شيئ»

فقال احدهم: «أتمنى ناقة بدلا من ناقتي التي ماتت»

فأخذ الناس ينظرون يمين ويسار وتسائل الرجل: «أين هي؟ لم أرى شيئ؟»

فأجاب أبو الفداء: «صبرا بالله، فالأمنية تُحقق لمن يرتدى الرداء ولذلك لابد أن أتمنى أنا ولذا سأقول مثلما قال الرجل ...أتمنى ناقة افضل من ناقته التي ماتت» فظهرت الناقة على الفور امام اعين الكل فتفاجئوا وقالوا في ذهول: «ما هذا؟! إنه سحر»

فرد أبو الفداء قائلا: «لا لا...هذا ليس سحرا، انه حقيقة... فتعالوا وانظروا إليها وتفحصوها جيدا فتسجدوا أنها حقيقة هيا اقتربوا»

فأخذ الناس يصعدون التلة واحدا بعد الأخر ويتفحصون الناقة وأبو الفداء ينظر اليهم وهو مسرور...وأثناء تفحصهم للناقة قال وهو يبتسم:

«صدقوني إنها حقيقة وليس سحرا ... حتى لو نظرتم إليها ستجدوا أن بها جرح بسيط، وهذا يعنى أنها حقيقية، فبالطبع الرداء لا يقدر أن يخلق روح فهذه أشياء يفعلها الله وحده...ومؤكد أن هذه الناقة كانت في إحدى الغابات والرداء أتى بها وحسب»...فلما سمع الناس هذا الكلام عقلوه جيدا وقال احدهم بعجلة شديدة:

«إذا أنا أريد منزلا جديدا وحديقة بها كل الثمار» ..وقال آخر: «وأنا أيضا أريد مثله وأريد إسطبلا للخيول» وقال الثالث: «وأنا أيضا مثلهم» وظل كل واحدٍ يقول ما يريده فقاطعهم أبو الفداء قائلا وهو مبتسم:

«يا إخواني اصبروا بالله، فكل ما تريدوه سيتحقق بإذن الله، ولكنى قبل أن آتى إلى هنا فكرت في شيء يحقق به كل إنسان ما يتمناه دون طلب منى حتى يكون الأمر سهلا للجميع»

فسألوه: «كيف هذا؟»

«سأتمنى أن يملك كل واحد منكم رداءا مثله ويحقق به ما يتمناه كما يريد حتى اعطى الحرية لكل منكم ليتمنى ما يشاء هو واسرته دون الحاجة الي»

فساله احدهم: «وهل هذا سينفع؟»

«بالتأكيد طالما انه يحقق كل الأماني...ولذلك أتمنى أن يملك كل منزل فى هذا البلد رداءاً يحقق به ما يتمناه»...وفى لحظة وجد كل رجل نفسه يرتدى الرداء بالفعل... ففرحوا فرحا عارما وظلوا يقولون: «لقد تحققت الأمنية...لقد تحققت الأمنية... أخيرا سنعيش حياتنا بعد حياة الفقر والجوع»

فأبتسم أبو الفداء وقال بصوت عالي محاولا تجاوز اصوات الافراح التى علت وصارت ترج المكان:

«نعم وهذا من فضل الله... فهيا اذهبوا وبشروا أسركم وحققوا لهم ما يتمنوه وأنا أيضا سأذهب لبيتي كي ابشرهم»

فأخذ الجميع يصعدون التلة ويقبلون ويحتضنون أبو الفداء ويشكروه حتى استأذنهم ومشى متجها إلي بيته...وهم ايضا اسرعوا إلى منازلهم وهم في قمة السعادة والفرح وعندما وصل واستقبلته زوجته وأبناءه كانوا فرحين به وظلوا يقولون:

«هل سنصبح أغنياء يا أبي ونأكل اللحوم ونركب الخيل ويكون لدينا بيت جميل وحدائق بها كل أنواع الفاكهة؟»

فأجابهم بوجه مشرق كشمس الظهيرة: «نعم إن شاء الله سيكون لدينا كل هذا» .. فأخذوا يغنون ويرقصون من الفرح أما أبو الفداء فدخل غرفته ليستريح

من التعب الذي كان يشعر به بعد رحلته الطويلة وغلبه النوم حتى جاءت زوجته توقظه وتقول له:

«يا أبو الفداء استيقظ.... هيا استيقظ وانظر ماذا جرى»

ففتح عيناه وسالها وهو مترقب: «ماذا جرى؟»

فابتسمت وقالت: «لا تقلق، فهو شيئ ليس سيئ»

فقال لها بشغف: «إذا تكلمي قولي ما الذي حدث»

فامسكت يده اليمنى وجعلته ينهض ويسير معها وهى تقول «تعالى معى وانت ترى بنفسك»

فمشى معها حتى وصلا الى الباب وحين فتحته وجد الشيء الذي اذهله...فقد وجد البلد تحول ولأنه بلد آخر، فالبيوت تبدلت والحدائق والبساتين قد أُنشأت وامتدت خارج النطاق الذى كانوا يعيشون عليه... حتى انه لم يعد يرى الرمال بعينه... وأصوات الطيور والحيوانات التي بداخل المزارع صارت تعلو بعد أن كانت أصوات الكلاب والذباب لا يعلو عليها شيئ وصار بيت ابو الفداء بين البيوت لا يُرى، حتى أن الشمس قد حُجبت عنه من ظلال الابنية العالية التى قد بُنيت لتجعلهُ مثل الزهرة الذابلة فى بستان النخيل العالى، فقال وهو لا يكاد يصدق عيناه:

«ما هذا؟ هل نمت لساعات أم شهور؟ متى حدث كل هذا؟»

فابتسمت الزوجة وقالت: «الناس كانت في ضيق شديد»

فقال وهو مازال يشعر انه يحلم من اثر ما يراه على قلبه: «نعم ..والان جاء وقت الفرج الشديد»

«نعم عدا نحن فلم يبقى سوانا مازلنا على حالنا؟ الم يحن الوقت لأحلامنا أن تتحقق أم ماذا»

فأبتسم أبو الفداء ورد قائلا: «بالطبع قد حان، هيا بنا نجلس سويا وكل منا يقول ما يتمناه حتى يحدث توافق بيننا»...فقالت: «حسنا» ثم دخلا البيت وجلسا وبجانبهما ابنهما وبنتهما وقال ابو الفداء وهو ينظر لأبنه: «هيا قل انت يا حسن ماذا تريد؟»..فأجاب قائلا:

«أريد بيت كبير ويكون به حديقة كبيرة ألهو فيها ويكون لدينا إسطبلا للخيل حتى اركبه واجري به في الحدائق الواسعة»

فأبتسم وقال: «حسنا كما تشاء» .. «وانت يا زينب ماذا تتمني؟»..

«أريد حديقة ملئية بالطيور الجميلة ذات الأصوات العالية»

فقال وهو يوجه السؤال لزوجته: «وانت ماذا تريدي يا ترى؟»..فأجابت الزوجة وهى مبتسمة:

«أريد أن يكون لدينا مزرعة نأكل من زرعها الخضروات والفواكه الطازجة وأيضا مزرعة للطيور لأكل لحومها..وبالطبع أخرى للماشية».. فقال أبو الفداء وهو مازال مبتسما: «حسنا كما تريدي»

فسألته الزوجة: «وانت ألن تطلب شيئ؟»

«بعد الذي قلتموه ماذا سأطلب أنا يا ترى»

فقالت الزوجة: «معك حق» ثم اكملت: «ولكنك ربما تجد انك محتاج لشيئ فى المستقبل ولكنه لا يحضرك الآن»

« نعم نعم.. معك حق .. المهم أن نبدأ وحسب»...وبالفعل تمنى أبو الفداء كل ما قالوه وصار لديهم فى حينه...وصارت البلد بأكملها هكذا بلد كل أهلها منعمين بالخير بعد الجوع والحرمان والبؤس الشديد...واستمر الوضع على هذا الحال قرابة شهر فيه عاش الناس في وئام تام وسعادة بالغة حتى جاء يوم كان أبو الفداء جالسا فى غرفته يقرأ احد الكتب فأتت إليه زوجته وقالت له: «أبو الفداء .. هناك ضيفا قد أتى ويبدو أن هناك شيئ حدث له»

فسالها وهو منتبه ومترقب: «من هو؟ وماذا حدث له؟»

«لا اعرفه ولكنه يقول أن الأمر هام للغاية ويريدك فورا»

فقام وهو يقول: «حسنا أنا قادم» وذهب ليرى ماذا يريد الضيف وحين دخل الغرفة الجالس فيها ونظر في وجهه عرفه وكان يدعى نعمان وهو احد التجار

الذين كان يشترى منهم البضائع من قبل وكان بينهما معرفة قوية تقترب من الصداقة فرحب به ثم ساله ما به حيث كان الحزن والخوف باديان على وجهه

فأجاب نعمان بنبرة الأسى والحزن الشديد: «انجدني يا أبو الفداء فابني سيموت؟»..فعقد أبو الفداء حاجبيه وتسائل وهو متعجب: «لما تقول هذا؟ اخبرنى ما الذي حدث؟»

«لقد أصيب بمرض غريب وحرارته ظلت ترتفع باستمرار وحالته تسوء يوما بعد يوم ولا نعرف ماذا نفعل.. فقد تمنيت أن أجد الدواء له وبالفعل وجدت زجاجة الدواء في الحال، ولكنى حين أعطيته منها لم يتحسن ولو بشكل طفيف، ولذلك أتيت إليك لأسألك لما حدث هذا، لماذا لم ينفع الدواء»

فصمت أبو الفداء وأخذ يفكر قليلا ثم قال وهو في حيرة: «فى الحقيقة لا اعرف ماذا أقول لك ولكن لماذا لم تستدعى طبيبا؟ لماذا تتمنى الدواء من الرداء قبل الطبيب؟»

فرد نعمان وهو منفعل بعض الشيء:

«يا أخي ماذا سيفعل امهر الأطباء أمام قوة الرداء، فطالما الدواء الذي أتى منه لم ينفع فهل سينفع الطبيب»

فهز أبو الفداء رأسه يمينا ويسارا ثم نظر إلى الأسفل وبعدها نظر إليه وهو مازال محتارا وقال له: «حسنا هيا بنا سأذهب معك لأراه بنفسى»

فقال نعمان: «حسنا هيا بنا» ثم ذهب الاثنان إلى منزل نعمان وحين وصلا ودخلا غرفة الصبي نظر إليه أبو الفداء واشفق عليه وساله: «كيف حالك يا بُنى؟»

فنظر إليه الصبي المريض ولم يقل شيئ وكان أبو الفداء يسمع صوت بكاء امه وقلبه يتمزق فقال وهو يحدث نعمان: «اعطني زجاجة الدواء الذي تحدثت عنها»

فذهب نعمان مسرعا ثم عاد ومعه زجاجة الدواء وأعطاها لأبو الفداء الذي أخذها ووضع القليل منه في احد الملاعق ثم رفع رأس الصبي من على الوسادة وجعله يشربه وهو يقول: «هيا يا بنى اشرب الدواء بسم الله».. وبالفعل شرب الصبي الدواء ثم وضع رأسه على الوسادة من جديد

وبعد ذلك قال أبو الفداء وهو يحدث نعمان: «لا تقلق، وقل لأمه أن تهدأ فهذا فأل سيئ عليه وإن شاء الله سيكون بخير»

فرد نعمان ذو القلب المفطور قائلا: «أتمنى هذا، فأنت تعرف انه ابني الوحيد والذي أتى بعد سنوات من الانتظار، فلا تتخيل كم نخاف عليه أنا وامه، فلو حدث له اى مكروه قد نموت معه»

فأخذ أبو الفداء يطمئنه وهو يطبطب بيده على كتفه ويقول: «إن شاء الله ستطمأن عليه قريبا والآن سأستأذن أنا وأريدك أن تبلغني بحالته وتطمئنني عليه في اقرب وقت»

«بالطبع سافعل المهم ان يتعافى من مرضه.. ولكن يا رجل لما ترحل هكذا سريعا امكث معى فأنا منذ زمن لم أراك»

فأبتسم أبو الفداء ابتسامة خفيفة مليئة بالالم وقال: «اعذرني يا أخي ولنتركها لمرة أخرى حين يكون فيه الظرف افضل من ذلك»

فرد نعمان: «حسنا كما تريد»

ثم ذهب معه وأوصله إلى الباب فخرج ومشى متجها إلى منزله...ومر الوقت وفات يومان على ذلك اليوم وفى اليوم الثالث وفى وقت العصر تقريبا وجد ابو الفداء احد يطرق باب منزله فذهب ليرى من بالباب وحين فتحه وجد الرجل الذي يدعى نعمان يرتمي على يده ويريد أن يقبلها وهو يقول: «أيها الرجل الطاهر الفاضل»

فشعر بالحرج مما يحدث وساله وهو مبتسم ومندهش فى نفس الوقت: «ماذا حدث يا أخي؟»

فأجاب نعمان الذي يكاد يطير من الفرحة: «انظر هناك وانت تعرف ماذا حدث»

فنظر الى المكان الذي أشار إليه نعمان فإذا به يجد ابنه الذي كان مريضا يقف ويبدو عليه انه تعافا فقال له وهو يشعر بالسرور:

«حمدا لله على سلامته، هيا اجعله يأتي لما يقف هناك هكذا، هيا اجعله يأتي حتى أُضايفكما»

«لا...فهذا الواجب علينا نحن، فهيا من فضلك ولا تتعذر بأي شيئ فزوجتي تنتظركم هيا قل لزوجتك وأبناءك وهيا فنحن سنحتفل بسلامته ولن يكون هناك احتفال بدونك فأنت من انقذ حياته وكان على يدك الشفاء»

فرد أبو الفداء قائلا: «لا تقل هذا فالشفاء بيد الله وحده»..فقال نعمان: «نعم صدقت» ثم ساله متعجبا:

«ولكن لما يا ترى لم ينفع الدواء إلا عندما أتيت؟ هل هذا مرتبط بأنك من حصل على الرداء؟ ايمكن ان تكون قوة الشفاء لا تجدى نفعا الا مع من حصل عليه اولا!»

فأجاب أبو الفداء وهو يهز رأسه بالرفض: «بالطبع لا...الأمر متعلق بأن الرداء مهما كانت قوته فهو ليس له صفات الإله، فهو يصنع دواء نعم ولكن لا يشفى، وأنا عندما قلت بسم الله.. أتم الله شفاء ولدك ومؤكد أن الدواء لم يجدى نفعا من قبل لأنك كنت تعتمد عليه ناسيا قدرة الله»

فأخذ نعمان يتأمل كلامه وابتسم خجلا وقال: «معك حق وفى الحقيقة كلما سمعت كلامك اشعر انك كنت الأحق بالحصول على ذلك الرداء من بيننا فأنت احكم من فينا والأكثر هدى وتقى، يا ليت ابني يصير مثلك عندما يكبر»

«إن شاء الله سيكون افضل منى»

«إن شاء الله..والآن سوف اذهب ولكننا ننتظرك انت وأسرتك فلا تتأخر وإن لم تأتى سنلغى الاحتفال»

فأبتسم أبو الفداء وقال: «لا تخف سوف نأتي إن شاء الله»

فقال نعمان: «حسنا» ثم استأذن وذهب إلى منزله واغلق أبو الفداء الباب

وبالفعل ذهب أبو الفداء وأسرته إلى بيت نعمان واحتفلوا جميعا بسلامة ابنه الصغير وكان يوم مبهجا للجميع

ومر الوقت حتى فات اسبوعا آخر من السعادة الغامرة ومن الوئام والانسجام التام حتى أتى يوم كان فيه احد الرجال الذين يسكنون البلد وهو يدعى سالم جالسا هو وأخوه الصغير فى حديقة قصر سالم فقال أخوه وهو عابس الوجه وكان يدعى شاهين:

«ما هذا الوضع السيئ الذي نعيشه في هذا البلد، الامر لم يعد يُحتمل»

فتفاجأ سالم وقال له باستغراب شديد: «الوضع السيئ! هل تمزح أم تتكلم بصدق؟»..فأجاب شاهين بجدية:

«لا...لا امزح...أنا أتكلم بصدق»

فقال سالم وهو مازال مستغربا ولا يفهم لما يقول أخوه هذا الكلام:

«أبعد كل ما نحن فيه من نعيم تقول أن الوضع سيئ، إن كان هذا سيئا إذا كيف كان من قبل؟»

فرد شاهين: « يا أخي أنا لا اتحدت عن متع الحياة أنا أتحدث عما لا يراه الناس وهو الأمر الذي سيعرفون خطورته فيما بعد»

فقال سالم وقد بلغ عجبه درجته القصوى: «وضح كلامك اكثر، فأنا لا افهم ماذا تقصد»

فقال شاهين وهو يشير بيده ناحية الخارج: « أنا أتحدث عن هذا البلد الذي لا يحكمه احد وكل إنسان منفصل وكأن بيته هو بلده... يجب أن نوحد الناس تحت إمرة رجل واحد فهذا العبث الذي نحن فيه لا ينفع ابدا»

فأخذ سالم يفكر قليلا ثم سأله: «وما فائدة هذا، فنحن نعيش هنا كأخوة، لما نضع فوق رؤوسنا من يتحكم فينا؟ انا ارى ان هذا افضل بكثير»

«ولكن هذا الوضع خطير يا أخي فلو أن غزاة جاءوا وهاجمونا فسيقضى علينا ما دمنا مشتتين وكل منا له رأيه، لابد من التوحد تحت رأى قائد يقودنا ويدير شؤوننا»

فابتسم سالم وقال ساخرا: «غزاة ...ومن سيقدر على هزيمتنا وكل بيت معه رداء الأحلام الذي إن تمنى قضى به على اى عدو»

فقال شاهين وهو يشير بأصبعه ناحية أخيه:

«هنا تكمن الخطورة يا أخي»

فنظر إليه سالم بعجب ثم قال: «لا افهم...ماذا تقصد بكلامك؟»

«تخيل معي لو استطاع غريب أخذ رداءا واحدا من أي بيت، بدون شك سيقضى على اى رداء آخر ويصبح هو وحده من يملكه ويقضى علينا جميعا...فنحن لدينا الرداء ولكن لم نصبح آلهة واعيننا تغفل والناس هنا يبدو أن النعيم قد أخذ عقولهم ولا يفكرون في أمر خطير كهذا»

فلما سمع سالم كلام أخوه أخذ يفكر فيه بعمق ثم قال بعد التعمق والتخيل: «هذا صحيح فالأمر يبدو خطيرا»

فقال شاهين: «أرأيت ولذلك يجب فعل شيئ يحمى هذا البلد من العبث ونحافظ به على أملاكنا»

فساله سالم: «وما هو هذا الشيء من وجهة نظرك الذي يمكن أن نفعله؟»

فتحدث شاهين بحذر وهو يتلفت يمينا ويسارا وكأنه يخشى ان يسمعه الزرع الذى كان يحيط به:

«يجب أن ترتدى الرداء وتتمنى أن يختفى أي رداء آخر حتى تحافظ على هذا الكنز من العابثين وبعدها يجب أن تكون حاكما على هذا البلد فأنت الأكبر سنا والأعلى مقاما وبهذا سنحافظ على الرداء وعلى البلد باكمله»

فقال سالم الذي بدأ يشعر بالقلق: «ولكن إن علم الناس أنني من فعل هذا فماذا سيكون ردهم»

فأبتسم شاهين وقال: «ومن سيخبرهم!، فأنت بعد أن تتمنى ستختفى الأردية وسيظن الجميع أن مدته انتهت أو أي شيئ آخر...طالما اختفى من عند الكل»

فتسائل سالم وهو محتار: «ولكن لما نحرم الناس من شيئ يحقق لهم أحلامهم؟ أليس هذا ظلما لهم ؟»

فرد شاهين قائلا بنبرة الاستغراب الشديد:

«يا أخي انظر حولك، فكل منهم صار لديه اكثر مما كان يراه في أحلامه ومؤكد انهم لن يفتقدوه.... فهو اصبح عديم الفائدة بالنسبة لهم...فماذا سيفعلون اكثر مما فعلوه؟ ألم ترى أن كل منهم صار كالملك المتوج وصار لديه من البساتين والمزارع والطيور والحيوانات والآبار ما يكفيه لمائة عام ... والآن وبعد كل هذا سيصبح مبعث للشر ويجب تحجيمه حتى لا يتم استخدامه بصورة خاطئة»

فتحدث سالم وقال:«وماذا عن ابو الفداء»

فساله شاهين باستغراب:« ما به»

«يجب ان نضع ذلك الرجل فى الحسبان ربما يكشف امرنا»

فابتسم شاهين وقال بهدوء:« ابو الفداء رجلا طيب يفكر بعواطفه... نعم ما فعله حين اعطى رداءا لكل بيت كان شيئا حسنا ولكنه لم يفكر فى المستقبل

ولم يتخيل خطورة ما حدث، فلا تضعه فى بالك ولا تخشى منه فهو مثله مثل اى انسان يحيا هنا سيسمع الخبر ويسلم بالامر الواقع وحسب»

فأخذ سالم يفكر من جديد حتى شعر أن الكلام أعجبه فرد قائلا: «نعم معك حق ولكن متى سنقوم بهذا العمل»

«في الليل والناس نيام حتى يقوموا من نومهم فلا يجدوه فيظنوا انه اختفى كما جاء بالتمام»

فهز سالم رأسه وهو يقول: «حسنا كما ترى»

وبالفعل ارتدى سالم الرداء في وقت متأخر من الليل وتمنى ألا يبقى احد يملك الرداء سواه فتحققت أمنيته على الفور..وفى الصباح وجد الناس احد يصيح ويقول بصوت عالى وهو حزين ومفجوع...أيها الناس لقد سرق ردائي....لقد سرق ردائي... فأتى واحد آخر بنفس الحالة يقول وأنا أيضا لم أجد ردائي وانضم اليهم ثالث قائلا وأنا أيضا لم أجده...فلما رأى الناس هذا ذهبوا جميعا ليطمأنوا على الرداء ولكنهم ذهبوا وعادوا بالحسرة وأخذ الكل يقول لقد اختفى الرداء حتى عم خبر اختفاء الأردية على كل بيوت البلد فقال احدهم:

«هيا نذهب لنرى أبو الفداء ونأخذ رأيه فيما حدث» وبالفعل ذهبوا جميعا وحين وصلوا وصاروا واقفون عند باب بيته قالوا جميعا: «لقد اختفت جميع أرديتنا ونريدك أن تعيدها لنا»

فقال أبو الفداء فى حزن: «مع الأسف لقد اختفى ردائي أنا أيضا»

فتسائلوا جميعا: «كيف هذا؟ أين ذهبت جميع الأردية في وقت واحد؟»

فرد أبو الفداء في حيرة: «فى الحقيقة لا اعرف...ربما كان له مدة وانتهت»

فتحدث سالم والذي كان يقف مع الناس ويدعى أن ردائه قد اختفى هو أيضا:

«يا إخواني ما حدث هذا يحتم علينا تغيير طريقة حياتنا»

فنظر الكل اليه وسالوه وهم عابسون: «ماذا تعنى بكلامك هذا؟»

فأجاب سالم بثقة وكأنه إمام يخطب أمام الناس:

«في الماضي لم نكن نخاف من الأعداء واللصوص لأننا كنا فقراء ولم يكن لدينا ما نخاف عليه...أما الآن فقد صار لدينا ما نخشى عليه وليس لدينا رداء يمكن أن نستخدمه للحماية وصد العدوان ولذلك وجب علينا توحيد بلدنا ليكون على كلمة رجل واحد حتى لا نتشتت ونُضَّيع كل ما لدينا ونعود كمان كنا»

فقالوا له: «وكيف سنفعل هذا؟»

«يجب أن يكون لدينا حاكم يدير أمر هذا البلد ويكون لديه الكلمة الحسم في أموره...ونجعل منا فرسان شجعان يقومون بحماية البلد من المعتدين ويحافظوا على أملاكنا التي إن ذهبت لن تعود من جديد»

فسال أبو الفداء الذي تعجب اشد العجب من رد فعل سالم وتفكيره السريع في أمر كهذا ومازال الكل يعيش فاجعة فقده لرداء الأحلام:

«ومن سيكون هذا الرجل الذي تريده أن يتولى أمر هذا البلد؟»

فأجاب سالم: «سنجد طريقة بها نعرف من الأحق ولكن المهم أن نتفق»

فقال احد الرجال:

«يا أخي هذا ليس وقته، يجب أن نجد أولا حلا لأمر الرداء»....وقال أخر مثله «نعم، لا داعى لهذا الكلام الآن» وصدق الجميع على كلامهما قائلين «نعم لا نريد أن نتحدث فى هذا الأمر الآن».... فشعر سالم بالخيبة وقال: «حسنا، معكم حق يا إخواني»

وبعد أن ظل الجميع يتشاورون عادوا بالحزن إلى بيوتهم بعد أن فقدوا الأمل فى إيجاد الرداء من جديد....أما سالم فقد عاد وحين قابل أخاه قال له وهو مهموم وحيران:

«ماذا سنفعل؟ الناس لا تهتم بأمر الحاكم هذا، يبدو ان الامر لن يكون بالسهولة التى توقعناها، ماذا سنفعل الان؟ هيا اخبرنى»

فقال شاهين الذي لم يعجبه ما فعله سالم وكيف انه أبدى رأيه بشكل يثير الريبة:

«يا أخي لقد تسرعت فيما فعلته اليوم...ما كان يجب عليك أن تقول ذلك الكلام فى ذلك الوقت»

فشعر سالم بالقلق وتسائل: «وما العمل اذا؟ هل سنتراجع عن خطتنا ونعيد الأردية لهم؟»

فأبتسم أخوه شاهين الذي كان وجهه يشع بالخبث ثم قال: «بالطبع لا... ليس لهذه الدرجة»

«إذاً ماذا سنفعل؟»

«لا تقلق، فأنا سأجعلهم يهرولون إليك وهم موافقون على كلامك ويريدون تنفيذ ما قلته لهم»

فساله سالم مرة ثالثة: «كيف سنفعل هذا؟ هل لديك خطة؟»

فأجاب شاهين بكل ثقة :«بالتأكيد لدى خطة.. فبعد ثلاثة أيام سيأتي مجموعة من اللصوص ويهاجمون بعض الناس هنا ويسرقونهم وحين يرى الجميع هذا سترى ما سيحدث بعدها»

فأبتسم سالم وقال: «هذه فكرة جيدة، ولكن لما بعد ثلاثة أيام، لما لا يكون فى الغد»

فقال شاهين وهو يبتسم: «يا أخي لا تكن متهورا حتى لا ينكشف أمرك يجب أن نجعل الأمر يبدو طبيعيا ...فأنا كنت أريد أن يحدث هذا أولا ثم تقترح عليهم اقتراح الحاكم، ولكنك سبقت وأخرجت ما بداخلك سريعا...والآن تريد أن يحدث هذا في الغد حتى تثير الشكوك اكثر، يجب أن نكون اكثر هدوءا وحذرا»

فهز سالم رأسه وقال: «نعم معك حق» ثم ابتسم وقال: «ولكنك أيها الداهية كنت تخطط لذلك من قبل...فكم مرة سألتك عن سبب كثرة الجنود الذين استدعيتهم وانت تقول لي... للتأمين والحماية»

«حتى تعرف كم احبك واخطط لك التخطيط السليم ...فلو كنا انتظرنا ما حدث لكان الناس شعروا بالريبة ولكانت الشكوك لاحقتنا ولاتهمونا بأننا من محونا أردية أحلامهم لنسيطر على البلد .. ولكن حين يتم الهجوم عليهم هم من سيركضون ورائنا فنحن لدينا الجند والعتاد ونحن الاجدر من أى احد منهم»

فأبتسم سالم وهز رأسه قائلا: «نعم نعم وهذا هو المطلوب»

ومر الوقت حتى فاتت الثلاثة أيام وفى اليوم الرابع تمنى سالم أن يهاجم البلد مجموعة من اللصوص ويسرقون بعض المنازل وبعد أن حدث الأمر ظل المسروقون يبكون والناس واقفون ينظرون اليهم ويواسوهم وأبو الفداء الريبة تزداد بداخله اكثر من ناحية سالم وأخوه شاهين بالاخص حين علم ان الاشياء التى تم سرقتها كان بعضها مواشى كبيرة الحجم وشوالات تزن اطنانا من المحاصيل والتى يصعب على اى لصوص سرقتها بهذه السهولة وفى ليلة واحدة

وفى تلك الأثناء قال سالم الذي كان احد الواقفين:

«الم اقل لكم يجب أن نوحد قوتنا كي نحافظ على أملاكنا من الأعداء، ها نحن الآن وقعنا فيما كنت أخشاه وإن بقينا على حالنا هذا سيضيع كل مالنا ونعود من جديد لما كنا عليه من فقر وجوع وذل»

فساله أبو الفداء وهو ينظر الى عيناه محاولا قراءة ما يدور بهما: «وماذا تريدنا أن نفعل يا ترى؟»

فأجاب سالم الذى يجيد تمثيل دوره: «كما قلت لكم من قبل يجب أن نولى علينا من يحكمنا ويكون له الكلمة في أمر هذا البلد ... ويكون لنا من يحافظ على امننا من الأعداء»

«ومن ترشح أن يتولى هذا الأمر؟»

«يجب أن نختاره بإجماع الأغلبية من اكبر الرجال فينا وهم أبو هشام، صالح، بكر وأنا»

فقال أبو الفداء: «وكيف سنعرف من سيصلح منكم؟»

فقال رأيه والذى ابلغه به اخاه شاهين: «فلنجعل كل رجل يكتب من يريده في ورقة ويأتي ويُلقها على الطاولة وانت تقوم بفتح الأوراق ومن سيأخذ أغلبية الآراء يتولى أمر البلاد»

فلما سمع الناس كلامه قالوا: «نعم الرأي هذا والله»...فلما رأى أبو الفداء هذا المشهد لم يعرف ماذا يقول فأستسلم وقال لهم وهو حزين: «حسنا كما تريدوا».. وتم أخبار الكل بالأمر وتم الاتفاق على أن يأتي كل واحد ومعه الورقة التي تحمل اسم من اختاره بعد العصر بساعة...وفى الوقت المتفق عليه أتى الجميع ووضعوا الأوراق على الطاولة وكان عددهم الف ورقة وهم بعدد الرجال الذين يتولون مسؤولية أُسرة ....ثم بدأ أبو الفداء بفتح الأوراق ليرى من

سيكون الرجل المختار...وحين فتح الورقة التي تخصه والتي علمها بعلامة مميزة حتى يعرفها من بين الأوراق وجد الشيء الذي قطع شكه وجعله يتيقن أن سالم هو من دبر كل هذا... فقد وجد الورقة التي كتب فيها اسم من يريده مكتوب فيها اسم سالم فعرف أن سالم مازال لديه الرداء وهو من جعل الأسامي تتبدل لصالحه...وبالفعل حين فتح كل الأوراق حصل سالم على أغلبية الآراء وتولى حكم البلد

ويوم بعد يوم صار سالم متحكما في كل شيئ في البلد بسلطته وجنوده بصورة سريعة للغاية وأبو الفداء مازال يفكر وهو مهموم كيف سيعيد الرداء المسروق ويعاقب سالم على فعلتهِ...وفى احد الأيام كان جالسا في منزله فسمع احد يطرق الباب فقام ليفتحه وحين فتحه وجد احد الرجال يكاد ان يبكى فسأله متعجبا ومنزعجا: «ما بك يا رجل؟»

فرد الرجل قائلا: «انجدني يا أبو الفداء فقد استولى سالم على اغلب ما املك»

فتعجب أبو الفداء اكثر وساله من جديد: «ولما فعل هذا؟»

«لا اعرف...والله لا اعرف...فهو يأخذ الأموال غصبا من الناس ويقول إنها ضريبة يجب على الكل دفعها حتى ينفقها على الخدمة العامة»

فأزداد عجب أبو الفداء حتى شعر بقليل من الدوار وساله من جديد: «ومنذ متى وهو يفعل هذا؟»

فرد الرجل:«منذ شهر»... ثم ساله: «وهل انت لم يأتي إليك مبعوثه ليأخذ منك الضرائب؟»

«لا.. لم يأتي احد ولم اسمع حتى عن ذلك الامر»

فتسائل الرجل متعجبا: «ولماذا؟»

فقال أبو الفداء: « لا اعرف.. ولكنى سوف اذهب إليه بنفسى واسأله حتى اعرف ما الذي يجرى بالضبط»

فقال الرجل متوسلا: «حسنا... وأرجوك أن تقول له أن يعيد إلي مالي فمكانتك ليس كمكانة احد وربما يصغى لكلامك فانا لا اريد ان اعود فقيرا كما كنت ارجوك...فحياتى وحياة ابنائى تعتمد عليك»

فاخذ ابو الفداء ينظر اليه وهو فى قمة الاسى والحزن وقال: «اريدك ان تهدأ وان تطمأن صدقنى سوف اذهب اليه واتحدث معه وان شاء الله ساعيد لك مالك»

فشكره الرجل ثم انصرف

وكان السبب في عدم علم أبو الفداء بما يجرى في البلد انه كان لا يختلط بالناس كثيرا وكان اغلب وقته يقضيه مع أسرته وفى رعاية ماله...ولذلك كان مهموما وحزينا لأنه لم يعرف ما حدث سوى بعد شهر ولهذا ذهب مسرعا وحين وصل لقصر سالم رحب به وادخله وبعد أن جلس أمامه قال سالم وهو مبتسم:
«كيف أخدمك يا أخي؟»

فقال ابو الفداء وهو ينظر الى عيناه نظرات ثاقبة توحى بالكره: «ما دمت تدعوني بالأخ ربما هذا يسهل ما جئت إليك فيه»

فقال سالم: «بالطبع فأنا لن انسى انك كنت سببا فيما نحن فيه الآن ومكانتك عندي ليست كمكانة أي فرد آخر»

«حسنا... شكرا لك على اى حال ولكن أريدك أن تشرح لي ما الذي يحدث بالضبط...لماذا تفرض ضرائب على الناس؟»

فرد سالم الذي مازال مبتسما: «وهل هذا ما يغضبك هكذا؟»

فقال أبو الفداء الذي كان يشعر بالغيظ منه لأنه يعرف الحقيقة ويعرف انه يخفى رداء الأحلام ولا يعرف لما يستولي على مال الناس رغم ما لديه:

«اليوم أتى إلي احد أهل البلد وكان على وشك البكاء لأنك أخذت ماله أيمكن أن تشرح لي لما تفعل هذا»

فأجاب سالم بهدوء:

«يا رجل وهل تصدق تلك الادعاءات.. كل ما افعله لصالح الناس وحتى نحافظ على هذا البلد.. فالأموال التي آخذها انفق منها على الحرس وتقوية الفرسان فأنا اجلب من البلدان الأخرى الكثير من الأسلحة وهذا مكلف جدا ولكنه لصالح الجميع كما تعرف»

فقال أبو الفداء والذي غيظه بدأ يزداد: «ولكن الأمر لا يبدو كذلك فمن جائنى منذ قليل يقول انك أخذت اغلب ماله...فهل تريد أن تجعل الكل فقراء وتجلب الحرس ليحمى الفقراء الجوعى»

فأنفجر سالم بالضحك ورد قائلا: «يا رجل ماذا تقول... هذا كلام ليس صحيحا، فأنا آخذ نسبة فقط وبطريقة عادلة...فلا تصدق ذلك الكلام البعيد عن الحقيقة .. فمؤكد أن من جاءك يبكى قد أضاع ماله وأتى إليك ليفترى علي، فانا الان اتولى الحكم وبالطبع ستحاوطنى الشبهات وانت تعرف هذا جيدا»

فأخذ أبو الفداء يفكر قليلا ثم نظر إليه نظرة المقت وعدم الرضى ثم ساله: «هل هذا آخر كلامك؟»

فأجاب سالم: «بالطبع فانا قلت لك الحقيقة» ثم أماء برأسه تعبيرا عن عدم الاهتمام وقال: «اتركنا من هذا الآن وقم معى لنتناول العشاء»

فقام أبو الفداء وهو يقول: «لا اعذرني فأنا سأستأذن الآن»

«حسنا ان كنت تريد ان تذهب فكما تريد ولكن أرجو ألا تكون غاضب أو حزين منى فأنا لا أتحمل غضبك أو حزنك منى كما تعرف»

فرد أبو الفداء بصوت منخفض من شدة القهر: «حسنا وبعد إذنك سأذهب الآن»

فقال سالم: «حسنا تفضل»...ومشى أبو الفداء وخرج من القصر وبعدها أتى شاهين على الفور والذي كان يستمع لما يدور بينهما فقال له وهو يشعر بالغيظ: «لما تعامل ذلك الرجل بلطف هكذا، يجب أن تكون حادا معه اكثر من ذلك»

فرد سالم قائلا: «لا لا...يجب أن اكون حذرا وأنا أتعامل مع ذلك الرجل بالتحديد ويجب ألا نعاديه فأنت تعرف مكانته عند الناس ولو انه صار ضدنا سنخسر كثيرا، فيكفى ما نفعله بأخذنا لأموال الناس..فالناس صارت تكرهنا ولم نعد نستطيع أن نخرج إلا بالحرس»

فقال شاهين وهو متذمر: «يا أخي لقد تكلمنا فى هذا الموضوع اكثر من مرة وقلت لك ان الحال لا يستقيم هكذا فهذا ضد قانون الطبيعة...فهل هناك بلد كل أهله ملوك!...اذا من سيعمل حدادا ... بناءا... نجارا وهكذا من الأعمال مادام الكل يعيش فى ذلك الترف»

فقال سالم: « انت معك الحق فى كلامك.. ولكن لماذا لم نجلب أشخاص من خارج بلدنا ونجعلهم يعملون تلك الأعمال التي تقول عليها؟»

«لا...فنحن لا نريد أن ندخل أغراب بداخلنا .. وكما قلت لك مرات عديدة يجب ان نعيش حياة طبيعية ويجب أن يكون هناك الفقير والغنى ...الضعيف والقوي... الحاكم والمحكوم فهذه هي الحياة الطبيعية التى يجب ان نحياها... وفى الحقيقة انا لم استطع تحمل ما حدث بعد ذلك الرداء وكيف اصبح من كانوا لا يعرفون شيئا فى حياتهم سوى حلب المعاز وتنظيف

الحظائر من ساكني القصور... نعم لقد مر علينا زمن وعشنا كلنا متساوون ولكن الاصول المتجذرة الكل يعرف حقيقتها جيدا، ويعرف من هم اجدادنا واجدداهم ولذلك يجب ان يعيش الكل حياة اجداده»

فأخذ سالم يفكر قليلا ثم قال: «ان حديثك هذا لم أكن افكر فيه من قبل»

فقال شاهين:

«انا اتحدث عن الحقائق يا اخى والتى يعرفها الكل ولكن يبدو انهم نسوها، ولهذا وجب علينا تذكريهم»

فصمت سالم ينظر الى اخاه الذى امطره بكلمات متعجرفة طبقية توحي بالحقد الشديد ومشى الى غرفته ليبدأ جولة جديدة من جولات الشراب التى يحاول بها نسيان ما يعيشه من ألم

ومر الوقت حتى فات شهران آخران وبينما كان سالم جالسا على احد الكراسى بداخل قصره اذا باحد الحراس يقول له ان شخصا ما يريد مقابلته وحين ساله عن اسمه اخبره انه يدعى زهران، وهو ابن الرجل الذى يدعى بكر والذى كان من كبار البلد واحد الذين وُضعت اسمائهم معه لاختيار احدهم للحكم، وكان زهران شابا فى السابعة والعشرين من عمره، فتيا ذو بنيان قوي ولذلك حين دخل على سالم نظر اليه وهو مبتسم ورحب به ثم ساله عن سبب مجيئه فقال زهران:

«لقد جئت اليك سيدى لاطلب العمل لديك فقد علمت انك تختار الاقوياء للانضمام الى الحرس واريد ان اكون من ضمنهم»

فاخذ سالم ينظر اليه ويتأمله وهو معجب به ثم قال:

«ولماذا جئت للعمل لدي... اليس لدى اباك مزارع تعمل بها»

«نعم لديه ولكنى اريد ان اكون فارسا ولا اريد ان اكون مزارعا»

فهز سالم رأسه لاعلى واسفل ثم قال وهو ينظر الى عيناه: «حسنا ايها القوي وانا اوافق على عملك لدى فلتذهب الى كبير الحرس وتخبره انك مستجد وتريد التدريب»

فشعر زهران بالفرحة وشكره ثم انصرف الى حيث امره

وبعد عدة ساعات اتى شاهين الى اخاه وكان غاضبا فقال:

«ما الذى يحدث يا اخى»

فساله سالم: «عن ماذا تتكلم؟»

فرد شاهين :«ما الذى اتى بالفتى الذى يدعى زهران الى هنا، لقد رأيته يقف مع كبير الحرس منذ قليل»

فاخبره سالم بما حدث فاشتعل غيظا وقال:

«ما هذا الذى فعلته هل اصاب عقلك الجنون»

فلما سمع سالم ما قاله برقت عيناه واندفع كالثور الهائج ثم قبض على رقبة اخاه الذى كان يصغره باكثر من عشرين سنة وقال له:

«ماذا قلت يا عديم الادب؟ هل لانى اعاملك كصديقى منذ صغرك سينعدم حيائك واحترامك لدرجة ان تصفنى بالمجنون»

فحاول شاهين تدارك الموقف وقال بنبرة الاعتذار وهو يحاول تخليص رقبته من قبضة سالم التى كادت تخنقه:

«لا يا اخى،انا لم اقصد، اعتذر لك بشدة عما قولته ولكنى تفاجئت بما رأيته...فكيف تجعل ذلك الفتى يدخل قصرنا ويكون من الحرس! الا تعرف ان اباه يكرهك، مؤكد انه قد اتى ليفعل امر ما... لا يجب ان تثق به»

فترك سالم رقبته وابتعد عنه خطوات الى الوراء وقال وهو يتجه الى مقعده:

«انا لم ارى منه اى سوء ولا داعى لهذه الشكوك فلنعطيه فرصة فهو فتى قوي ويجب ان نستخدمه لصالحنا»

فهز رأسه يمينا ويسارا متأسفا وقال:

«انا متأكد من انه جاء هنا لينفذ امرا ضدنا وان كنت لا تصدقنى استخدم الرداء حتى ترى حقيقة ما اقوله»

فاعترض سالم سريعا وقال:« لا، لن استخدم الرداء»

فتفاجأ شاهين بما قاله وساله:

«لماذا؟!»

فاجابه سالم بجدية:

«لن اجعل كل حياتى تسير بالرداء، اترك هذا الامر لي وانا ساعرف ان كان صادقا ام كاذبا وانسى الرداء وقدرات الرداء وكأنه ليس موجودا فى حياتنا اعطنى فرصة اشعر باننى انسان حي به روح وعقل وليس عبدا لذلك الرداء الذى بدأت اشعر بالبغض ناحيته رغم انه سببا فيما نحن فيه الان»

فلما سمع شاهين ما قاله سالم كاد ان يصيبه الجنون ولكنه تمالك اعصابه حتى لا يتفوه بما قد يصنع مشكلة بينه وبين اخاه ولذلك قال:

«ما هذا الكلام الذى اسمعه انا لا اكد اصدق هذا ابدا، انه الرداء يا اخى كيف تقول هذا عنه»

فتحدث سالم بنبرة منكسرة خافتة:

«أعلم هذا جيدا ولذلك اريدك ان تنهى الكلام فى هذا الموضوع كما اخبرتك اترك امر زهران لي وانسى الرداء تماما وكأنه ليس موجودا، وهيا الان اتركنى وحدى»

فاخذ شاهين ينظر اليه ولم يعجبه ما قاله فانصرف وهو يقول:

«حسنا يا اخى افعل ما تريد»

ولكنه لم يترك الامر وقرر الا يمكث ويترك زهران بالقصر ولذلك ظل خمسة ايام يراقبه ويتنصت عليه هو وتابعيه فلم يتوصل لشيء ولهذا لما يجد حلا الا ان يستخدم الرداء...فقد تسلل الى الغرفة التى يضع فيها سالم الرداء وارتداه وتمنى ان يعرف حقيقة زهران وهل هو يخطط لشيء ام لا

وبالفعل حين ارتداه وتمنى ظهرت امام عيناه صورة ماضية لزهران وهو يقف ومعه ثلاثة من الشبان الاقوياء وكان يقول لهم:

«حين اخبركم باليوم المناسب ستأتون وتتسللون من الاماكن التى سأقول لكم عليها وستقضون عليه وعلى اخاه شاهين ولتهتموا بأمر شاهين اكثر من سالم يجب ان تتاكدوا من موته فهو رأس الشيطان المدبر لكل شيء، افهمتم»

ثم اختفت الصورة امام عيناه واللتان لمعتان بعد علمه بالحقيقة وجرى مسرعا الى اخاه حيث يجلس وقال له:

«لقد عرفت الحقيقة يا اخى واريدك ان تاتى معى لتراها بنفسك»

فساله سالم وهو متعجب: «اى حقيقة؟»

فقال شاهين بابتسامة الثقة: «فلتأتى معى لترى بنفسك»

فقام سالم من مجلسه ومشى معه حتى وصلا للغرفة التى كان بها شاهين منذ دقائق وامر سالم بارتداء الرداء وتمنى ما تمناه، ورغم انه رفض من قبل الا ان اندفاع شاهين بهذه الطريقة واصراره جعله ينفذ ما قاله وحين فعلها وشاهد ما شاهده اشتعل غضبا وقال:

«الخائن اللعين»

فقال شاهين بنبرة المعاتب:

«ارأيت يا اخى اننى كنت صادقا فلو كنا انتظرنا اكثر من ذلك لكان قضى علينا جميعا»

فخلع سالم الرداء واخذ ينظر اليه وقال بعد صمت قليل:

«ولكن هناك شيء»

ساله شاهين ما هو وهو عاقد حاجبيه فاجابه سالم:

«هل يمكن ان يُخطئ الرداء؟! هل يمكن ان يكون الصورة التى رأيناها ليست صحيحة؟»

فبرقت عينا شاهين من الاندهاش مما يقوله اخاه وشعر انه سينتزع شعره من الغيظ وقال وهو لا يكاد يصدق ما يسمعه:

«ماذا حدث لك يا اخى ما هذا الكلام الذى تقوله، منذ متى وقوة الرداء بها شك»

فخفض سالم رأسه الى الاسفل وهو يشعر بالهم وقال بصوت منخفض يشوبه الارهاق:

«لا اعرف ماذا حدث لي فانا اشعر بالتعب ولكن فى كل الاحوال اعتذر منك لقد كنت مخطئا والان سأترك لك الخيار فى معاقبته كما تشاء»

فقال شاهين بدون تردد:«سوف اقضى عليه اليوم»

فانقبض قلب سالم وشحب وجهه وساله: «هل ستقتله؟»

فاجابه شاهين بتأكيد واصرار:

«بالطبع سأقتله، لن اجعل الليلة تمر الا وقد قضيت عليه»

«ولما لا تسجنه بدلا من القتل»

فهز رأسه بالنفى القاطع وقال بحزم: «لا لا...يجب ان يموت فهذا هو عقاب الخائن»

فنظر سالم الى الارض من جديد وهو يشعر بعدم الارتياح وقال: «حسنا كما ترى» ثم استدار ومشى الى غرفته ليشرب من جديد

وبالفعل لم ينتظر شاهين اليوم يمر حتى امر احد الرجال بقتل زهران، وبالفعل نفذ الرجل الامر وطعنه وهو عائدا الى بيته فى المساء طعنة قاتلة اودت بحياته

وفى الصباح تم تشييع جثمانه الى مثواه الاخير فى مشهد احزن البلد بأكمله فقد كان اباه يبكى بحرقة وامه وكانها اصابها الجنون واخوته واحبته لم يكن احد منهم لا يبكى على فراقه وكان ابو الفداء يسير بينهم ولا يقل حزنه عن احزانهم ليس فقط على موت انسان فى ريعان شبابه ولكن لان مشهد القتل كان من

الاشياء الجديدة التى لم يعتادوا على رؤيتها من قبل وحدوثها بعد فترة الرداء جعل الحزن يزداد ويصير جبالا على قلبه، فقد احس بالذنب وكانه كان السبب فيما حدث وفيما سيحدث بعد ذلك

ومرت الأيام حتى فاتت اربعة اشهر اخرى على ذلك اليوم المحزن وذات يوم كان أبو الفداء راكبا جواده عائدا من رحلة صيد فاذا به يمر على عمالا يعملون في شيئ وكأنهم سيبنون بناءا ما.. فدفعه الفضول للنزول من على الجواد والاقتراب والنظر الى احد العمال ليساله قائلا: «قل لي يا أخي ما الذي سيبنى في هذا المكان؟»

فرد عليه العامل قائلا: «والله يا سيدي لا اعرف ولكن الحاكم من امرنا بالعمل على بناء كما وصفه لنا ولكننا لا نعرف ماهو بالتحديد»

فأبتسم أبو الفداء وتسائل متعجبا: «تبنون شيئا لا تعرفون ما هو...كيف هذا؟»

فأجاب العامل: «لا اعرف ماذا أقول لك ولكن في الحقيقة الأمر محير فالبناء كما تم وصفه يشبه القصر أو القلعة أو السجن»

فلما سمع أبو الفداء كلمة السجن انقبض قلبه وقال: «ماذا تقول؟ سجن؟!»

«نعم... فهو سيكون بناء ضخم وله أسوار عالية وبه الكثير من الممرات والغرف»

فوقف أبو الفداء ينظر إليه وهو مذهول ولم ينطق بكلمة واحدة ثم مشى في طريقه إلى منزله وكلمة سجن تتردد فى عقله طوال الطريق ...وظل لفترة يفكر في الأمر وهو مهموم وحزين ولا يعرف ماذا يجب عليه ان يفعل حتى انه حينما كان في منزله رأته زوجته فشعرت بحاله فسألته: «ما بك يا أبو الفداء هل هناك شيئ؟»

ولكنه من شدة الانشغال والحيرة لم يرد عليها فهو لم يسمع حتى صوتها وقام من على كرسيه واتجه مباشرا إلى باب المنزل وخرج منه.

وظل يمشى حتى قادته قدماه إلى قصر سالم فدخل وحين صار أمامه قال له سالم: «مرحبا بك يا رجل، لما لم تأتي لزيارتي منذ فترة؟ أين كنت؟»

فقال أبو الفداء بدون أي مقدمات وحتى انه لم يرد ترحيب به:

«أريد أن اسألك عن البناء الجديد الذي تبنيه، يا ترى ما الحقيقة وراء ذلك البناء؟»

فرد سالم المبتسم: «يا رجل أبعد كل تلك الفترة بدون أن أراك ولا اتحدت معك تأتي فقط لتسال عن شيئ كهذا، لم اعهد عليك هذا الجحود من قبل»

فقال أبو الفداء وهو متذمر: «لا داعى لهذا الكلام الآن...أريد منك جوابا واضحا عن سؤالي ..أرجوك»

«حسنا كما تريد ذلك البناء هو سجن»

فلما سمع أبو الفداء كلمة سجن شحب وجهه وقال له مستنكرا ومتعجبا: «ولما تبنى سجن بذلك الحجم الذي رأيته؟...فمساحة الأرض تصلح لمزرعة كبيرة...هل ستسجن البلد بأكمله؟»

فلما سمع سالم كلامه أخذ يضحك كعادته ثم رد قائلا:

«بالطبع لا، ولكن ما لدينا من غرف نستخدمها للعقاب لن تكون صالحة بالمستقبل...فنحن بعد أن تبدل حالنا وصرنا أغنياء عددنا سيزيد والطمع سيزيد والجريمة ستزيد وبالطبع يجب أن يكون هناك عقابا رادعا...ولهذا سأبنى ذلك السجن فهو لمعاقبة المذنب وحسب...انت تفهمني أليس كذلك»

فأخذ أبو الفداء ينظر إليه والغيظ والمقت يشع من عيناه وقال له بنبرة غاضبة: «اسمعني جيدا يا سيد سالم..لقد مرت شهور منذ توليك حكم هذا البلد وانت وأنا نعرف كيف حدث هذا...فلا داعى لأن تفعل أفعالا تجعلني أُفشي سرك أمام الناس وأقول لهم كيف حدث ما حدث فيكفى ما فعتله حتى الان فلا تضف مصيبة اخرى وهى الاكبر كما ارى»

فلما سمع سالم الكلام برقت عيناه وظل قلبه ينبض من الخوف وتسائل وهو يدعى الجهل: «ماذا تعنى بكلامك هذا؟ أنا لا افهم شيئ مما تقول»

فقال أبو الفداء ساخرا:

«لا تتظاهر بالجهل فأنت تعرف جيدا ما اقصده .. فأنت من أخفيت أردية الأحلام حتى تتحكم في البلد وقد تأكدت من ذلك بنفسى...ولكنى مع

الأسف لم اقدر على فعل شيئ...وخوفا من الفتنة وضياع البلد بأكمله سكت وقلت انتظر حتى ارى ماذا ستفعل وحاولت إقناع نفسى انك فعلت ذلك لمصلحة البلد وانك تريد توحيده ومنع العبث بشيء خطير كالرداء وهو الشيء الذي كنت افكر فيه أيضا وكنت أخشاه وكنت أتمنى إيجاد حل له بالتشاور والاتفاق لا بالتآمر والمكيدة ...ولكن اغلب الظن هو ما حدث و الأمر لم يعد يُطاق...فظلمك وتجبرك يزيدان مع الوقت والفقر عاد يتفشى من جديد بين الناس...والأكثر بشاعة هو الخوف الذي لم نكن نعرفه، فالناس صارت تخاف من ذكر اسمك وتحول الكثير إلى عبيد عندك ولا تنسى ما حدث لزهران الشاب الذى راح فى ريعان شبابه والذى اظن ان عمله عندك كان احد اسباب مقتله الغريب... فالشاب لم نسمع يوما انه كان له اى عدو ولكنه بعد عمله عندك بايام قُتل ولا نعرف لماذا...

فقل لي ماذا فعل أولئك المساكين لك حتى تفعل معهم هكذا؟

لما لم ترعى العشرة والأخوة التي كانت بينك وبينهم وخُنتهم وهدمت أحلامهم واعدتهم لحياة الذل من جديد؟ ...هيا أجبني وحاول أن تبرر فعلك المشين هذا»

وكان سالم يستمع إلى الكلام الذي ينزل عليه كالسهام المشتعلة حتى انه كان يتصبب عرقا ولسانه توقف عن النطق وما استطاع تبرير موقفه ولو بكلمة واحدة ولذلك اكمل أبو الفداء قائلا:

«يبدو انك لا تستطيع الكلام وأنا لن اكون مثلك وسأرحمك وسأترك لك باب التوبة والرجوع إلى الحق...ولكنى أحذرك فمهما فعلت أمرك سينكشف يوما ما وستلقى مصيرا مذلا مهما طال بك الوقت

فحتى إن قضيت بردائك على كل أهل البلد واستقدمت غيرهم حتما لن يتركوك وستجد منهم من يأخذون حق من ظلمتهم، فبالرداء تستطيع القضاء على الناس ولكن الله حي لا يموت

فأرجو أن تكون حاكما عادلا وحسب... وأنا سأعطيك آخر فرصة حتى تصحح أخطاءك وإلا بعدها سترى ماذا سيفعل معك الناس حين يعرفون الحقيقة»

ثم قام أبو الفداء واتجه ناحية الباب وترك سالم الذي كاد قلبه يتوقف مما سمعه...ولذلك عندما اغلق الباب نادى على احد الحراس وقال له:

«قم بالقبض على أبو الفداء والقه في السجن حالا واستدعى لي أخي شاهين وقل له أن الأمر في غاية الخطورة»

وبالفعل نفذ الحارس الأمر وألقى بأبو الفداء في السجن واستدعى شاهين الذي أتى مسرعا وحين صار أمامه قال له في لهفة: «ماذا حدث يا أخي؟»

فقال سالم المذعور: «لقد انكشف امرنا ...أبو الفداء يعرف أن الرداء مازال معنا»

فتسائل شاهين متعجبا: «من أين عرفت هذا الأمر؟»

«لقد قال لي بنفسه وهددني بأنني إن لم أتراجع عن بناء السجن سيفضح أمري ولذلك قبضت عليه والقيت به فى السجن»

فلما سمع شاهين كلام أخيه ابتسم ابتسامة هادئة وقال: «وهل هذا هو الأمر الخطير الذي يزعجك هكذا»

فتعجب سالم من رد فعل شاهين وساله مستنكرا: «ما هذه الابتسامة الساخرة هل تستهين بأمر كهذا»

«في الحقيقة هو أمر لا يستحق كل هذا الذعر ولا يزعج بالمرة ..فربما لو كان هذا الكلام في البداية لكنت سأشعر بالقلق أما الآن فلا أبو الفداء ولا غيره يقدر أن يفعل شيئ معنا مهما قال ومهما فعل»

فساله سالم: «كيف هذا؟ ألا تخاف من انقلاب الناس علينا حين يعلمون بأمر الرداء»

فقال شاهين الهادئ الواثق من قوله: «صدقني يا أخي مهما فعل لن يصدقه احد وحتى إن صدقوه سيتظاهرون بأنهم لم يصدقوه خوفا على انفسهم .. ولهذا ادعوك أن تترك أبو الفداء يذهب فحبسك له سيكون ضدك»

فقال سالم بغضب: «كيف اتركه بعدما سمعت ما قاله؟ هل جننت؟»

«صدقني لن يقدر على فعل شيئ اتركه وسترى بنفسك»

فأخذ سالم يفكر قليلا ثم استسلم كعادته لكلام أخيه الصغير وقال: «حسنا كما ترى ولكن ان حدث ما أخشاه ستكون انت السبب»

فرد شاهين مبتسما ابتسامته المعتادة: «لا تقلق لن يحدث شيئ»..وبالفعل أمر الحراس بإطلاق سراح أبو الفداء على الفور...وبمجرد أن خرج ذهب إلى صالح وهو احد كبار البلد وقال له:

«هناك أمرا هاما يجب أن أقوله لك وهو أمر خطير لا يحتمل التأخير»

فترقب صالح وسأله بشغف: «ما هو هذا الأمر؟ تكلم يا أخي»

فأجاب أبو الفداء: «الأمر حين تسمعه ربما لن تصدقه ولكنى اقسم لك بالله انه حقيقي»

فقال صالح:

«يا أخي من دون أن تحلف أنا أعرفك جيدا واعرف انك لا تكذب فهيا تكلم بدون مقدمات»...فهز أبو الفداء رأسه وقال: «حسنا...الأمر متعلق برداء الأحلام...أتعرف السبب في اختفاء الأردية؟»

فأزداد الترقب بقلب صالح وساله: «هل عرفت السبب؟»

«نعم عرفته وليس الآن ولكنى عرفته منذ فترة وأخفيته خشية الفتنة»

فتعجب صالح وقال: «أولا أريد أن اعرف السبب وبعده اقرر هل أخفاؤك له كان صحيحا أم لا»

«حسنا...السبب في اختفاء الأردية هو سالم»

فساله صالح والعجب عنده وصل لدرجته القصوى: «ماذا تقول، سالم! كيف هذا»

«هذه هي الحقيقة فسالم هو من تمنى اختفاء الأردية إلا رداءه ليتحكم في البلد كما حدث وقد تأكدت من ذلك بنفسى»

«وكيف عرفت هذا؟»

« لقد ازدادت الريبة في قلبي حين رأيت سرعة رد فعله بينما كان الكل مفجوع من فقده للرداء...وحين جاء وقت انتخاب الحاكم بالطريقة المثيرة التى كانت من ابتكاره، وضعت احد الأوراق وميزتها حتى اعرفها فوجدت الاسم قد تغير وصار اسمه وبالطبع لن يقدر احد فعل هذا الأمر إلا باستخدام الرداء... وبدون كل ذلك أظن انك ترى ما فعله وما يفعله بالناس»

فقال صالح الذي كان قلبه يشتعل من الغيظ: «وانت يا أبو الفداء جئت تفصح عن هذا الآن فلو صدقك كل من في البلد ما الفائدة، قل لي ماذا يمكن أن نفعل الآن»

فرد أبو الفداء بحماسة: «سنقدر على فعل الكثير المهم أن نبدأ، فلا يجب أن نترك سالم حتى يستفحل طغيانه اكثر من ذلك»

فقال صالح بتحسر ويأس: «مع الأسف هذه الشعارات لن تجدى نفعا لقد فات الوقت»

فساله أبو الفداء متعجبا: «أبهذه السهولة سنتخلى عن الأمر ونترك سالم يفعل ما يشاء»

فأجاب صالح بنبرة اشد يئسا: «نعم»

فساله والحسرة تملأ قلبه: «هل هذا كلامك الأخير؟»

«نعم... فلا قوة لنا ولا حيلة في أمر كهذا وأنصحك يا أخي أن تترك هذا الأمر وكأنه لم يكن فهذا قدرنا»

فقام أبو الفداء وهو يقول: «حسنا كما تريد» ومشى متجها إلى باب البيت وخرج وقلبه مملوءا بخيبة الأمل...ولكنه لم يتوقف وذهب من بعدها على الفور الى بيت بكر ظنا انه سيقف بجانبه بعدما يعلم ما حدث ولكنه تفأجا بأن يقول له بحزن وقهر:

«مهما قلت ومهما فعلت لن يعود ابنى زهران الى الحياة ومن الافضل لى ولك ان تترك الامر وترضى بما حدث فانا لدى ثلاثة ابناء ولا اريد ان اعيش فقدان احدهم مرة ثانية»

فلم يستطع ابو الفداء التحدث بعد كلامه ولذلك تركه فى المه ورحل وظل يذهب الى الناس ويحكى لهم عما حدث ولكن كان كلام صالح حقيقي فلم يستجيب له أي إنسان .. فالكل تحسر ولكنه خاف من بطش سالم ويأس من فعل شئ ولذلك ذهب أبو الفداء إلى بيته وحين صار أمام زوجته قال لها وهو

حزين: « لم يعد لنا مكانا في هذا البلد بعد الآن، يجب أن نرحل فى اسرع وقت»

فتفاجئت زوجته وسالته وهى متعجبة: «لماذا؟ ما الذي حدث؟»

«سأحكى لكِ لاحقا ولكننا كما قلت لكِ يجب أن نرحل .. فلو بقينا هنا لن يتركنا سالم وشأننا بعدما حدث ... وأنا لن أُعرضكم للخطر.. يجب أن نرحل فهنا لم يعد مكانا صالحا لنا»

فسألت الزوجة وهى على وشك البكاء: «ولكن أين سنذهب وكيف سنعيش؟»

فامسك برأسه وهو يقول: «لا اعرف...والله لا اعرف ...ولكن كما اخبرتك هذا البلد سيكون عيشنا فيه عسير»

فردت الزوجة قائلة: «أنا لا اعرف ماذا حدث ولكن لن تكون حياتنا اكثر عسرا من الحياة في العراء فعلى الأقل نحن هنا في دارنا نأكل ونشرب ولدينا جدران تحمينا...أما إن ذهبنا فربما لن نتحمل طويلا وإن تحملنا نحن فلن يتحمل ابنك وابنتك فعليك أن تفكر فيهما»

فقال أبو الفداء: «أنا اعرف أن ترك بلدنا أمر عسير ولكنى أخشى عليكم.. فأنت لا تعرفين كم الحسرة التي بقلبي على الحلم الذي لم يطول حتى صار كابوسا ولكن ماذا افعل فهذه إرادة الله»

«أنا لا افهم ما الذي حدث لكل هذا...أرجوك اخبرني... اريد ان اشاركك التفكير فلعلنا نجد الحل سويا»

فصمت أبو الفداء المقهور وأخذ يفكر قليلا ثم نظر إليها وقال بعد التفكير العميق: «سأخبرك بالتأكيد عما حدث ولكن ليس الآن فخلقي لا يسمح بأن أحكي.. ورغم أنني لا اعرف ماذا افعل إلا أنني سأنفذ إرادتك فإن كانت هذه رغبتك فكما تريدي فلنبقى ويحدث ما يحدث»

وبالفعل بقي أبو الفداء وأسرته في دارهم وازداد انغلاقه على نفسه فلم يكن يقابل احد إلا للضرورة..وبعد مرور اسبوعا واحدا وجد احد يطرق الباب فلما ذهب وفتحه وجد بعض معارفه من أهل البلد وكانوا خمسة رجال وكان من بينهم نعمان فرحب بهم وضيفهم ثم جلس يتحدث معهم فقال احدهم:

«هل انت بخير يا أبو الفداء؟»

فقال أبو الفداء: «أنا بخير والحمد لله»

فساله آخر: «إذاً ما حقيقة ما سمعناه مؤخرا؟»

فرد أبو الفداء عليه بسؤال قائلا: «ما هذا الذي سمعتموه مؤخرا؟»

فرد آخر عليه: «ألا تعرف انهم يشيعون عنك في البلد انك أُصبت بنوبة من الجنون»

فتفاجأ أبو الفداء وتسائل متعجبا: «الجنون! ما هذا الذي تقوله؟»

فرد الرجل: «لست أنا من يقول...الناس هم من يقولون فقد انتشر الخبر في كل أنحاء البلد والكل يحكى انك تتخيل أن الرداء مازال موجودا وان الملك سالم لديه رداء يُخفيه»

فلما سمع أبو الفداء الكلام عرف على الفور أن سالم من فعل هذا فسالهم وهو يشعر بالغيظ والالم: «وهل تظنون أن هذا الكلام من وحي الجنون؟ وأن من تطلقون عليه الان ملكا ليس لديه رداء»

فقال نعمان: «إذاً انت تقول هذا بالفعل؟»

«نعم لأن هذا ما حدث وإن لم تصدقوني فهذا شأنكم ولا دخل لي به... ولكن ما قلته هو الحقيقة بعينها»

فأخذ الجميع يبتسم وكأنهم تأكدوا انه أصابه الجنون بالفعل وقال نعمان من جديد: «وكيف عرفت أن سالم لديه رداء؟»

فرد أبو الفداء والذي شعر بالغيظ اكثر من طريقتهم التي بدا عليها السخرية: «ليس مهماً أن تعرفوا وليس مهماً أن تصدقوني وان كنتم تريدون أن تعتبروني مجنونا فاعتبروا أنني مجنون...فمهما قلت لن يتغير شيئ»

فقال احدهم وهو مازال يبتسم: «لما غضبت هكذا يا رجل نحن نتحدث ونريد أن نعرف الحقيقة ليس اكثر»

فشعر ابو الفداء بانه لم يعد يتحمل وصارت نبرته منفعلة بعض الشيء: «حسنا لا يوجد مشكلة ولكنى لن أتحدث في هذا الأمر مجددا وإن كنتم جئتم

من اجل زيارتي فلنتحدث في أمر آخر أما إن كانت زيارتكم من اجل هذا الأمر وحسب فليس لدي ما أقوله»

فوكز نعمان الرجل في جنبه ثم قال له بطريقة وكأنه يكلم طفلا أو رجل مجنونا: «حسنا يا أبو الفداء سنتركك حتى تهدأ أعصابك ثم قاموا جميعا وخرجوا من بيته»...وبعد أن خرجوا سمع صوت ضحكاتهم التي لم يكتموها حتى يبتعدوا عن البيت...أما هو فقد ارتفع ضيق صدره وغيظه منهم إلى درجته القصوى وأخذ يتذكر معاملتهم السابقة له ويزداد المقت في قلبه

...ومرت الأيام حتى فاتت أربعة أيام وفى اليوم الخامس وجد ابنته الصغيرة تبكى بحرقة فسالها: «ما بك يا زينب ماذا حدث؟»

فأجابت قائلة:«الأولاد والبنات بالخارج يدعونني بابنة المجنون»

فلما سمع كلامها شعر بالحسرة وقال لها: «اهدئي يا بنيتي ولا تحزني فهم لا يعرفون شيئ» ثم ذهب على الفور إلى زوجته وقال لها:

«أرايتي...فلم يمر سوى أياماً معدودة حتى صرت المجنون وانتم أسرة المجنون...فانا قررت ولن أتراجع وان لم تريدي أن تأتي معى فلتبقي كما تريدي وليذهب كل منا لحاله على الأقل لا اجلب لكم الضرر اكثر من ذلك وأتخلص من السجن الذي أنا فيه، فالقرار لك هل ستأتين معي أم ستمكثين هنا»

فقالت الزوجة الحزينة: «انت تعرف أنني لن أتركك وحتى إن رفضت طلبك من قبل كان خوفا من المجهول ولكن مادام الأمر هكذا فلنذهب والله يرعانا ...

ولكنى في حيرة ولا اصدق ما يحدث ... هل يبلغ النكران هذا الحد!..لقد نسوا جميعا انك من كنت السبب في جلب الرداء الذي كان سببا في ما هم فيه من خير ...كيف يفعلون معك هذا! كيف ينعتونك بالمجنون وهم يدركون جيدا انك لست مجنونا»

فأبتسم أبو الفداء ابتسامة الحسرة ورد قائلا: «هم لم ينسوا ما فعلته ولم يصدقوا أنى مجنون...

ولكنهم تناسوا وجعلوا انفسهم يصدقون و قلوبهم تخفى الحقيقة...فالكل يعرف أنني أقول الحق ولكن التصديق بشيء كهذا سيولد الألم في قلوبهم والألم سيدفعهم إلى المواجهة... وتكلفة المواجهة مع سالم ستكون غالية الثمن فقد قالها لي بكر صريحة حين اخبرته بما حدث فمن تم قتل ابنه غدرا لم يفعل شيء ما بالك بباقى الناس... ولهذا رضوا بالتناسي ومحاولة التصديق خوفا من المواجهة ليس اكثر»

فأخذت الزوجة تفكر في كلامه ثم قالت: «نعم نعم فهمت قصدك، ومهما كان ما سيحدث أنا سأذهب معك فلعل الله يكتب لنا خير مما تركناه»

فأبتسم أبو الفداء وقال: «هذا هو عين الصواب ولا تقلقي فالله لن يتركنا ثقي في هذا»

فقالت: « ونعم بالله...ولكن هل ستبيع البيت والحقول والحيوانات والطيور لنعيش من نقودها فى اى مكان اخر»

فاجاب ابو الفداء دون تفكير: «لا»

فتعجبت الزوجة وعقدت حاجبيها وقالت:

«اذا ماذا سنفعل؟!»

«سنذهب فى نفس الطريق الذى سلكته حين وجدت الرداء لعلنا نجد الخير كما حدث فى المرة السابقة ولنترك كل شيء ورائنا»

فلم تقتنع الزوجة بما قاله ولذلك قالت:

«ولكن لماذا؟ لماذا لا نذهب الى بلد مهما كان بعيد ونعيش فيه بما لدينا من مال؟ لماذا نذهب الى المجهول ولدينا ما ينفعنا»

فقال ابو الفداء الذى بدى غير واضح النية:

«ثقى فى كلامى ولنذهب فى نفس الطريق...انا اشعر ان هذا هو الصواب»

فصمتت الزوجة ولكنها لم تعارضه ووافقت وهى مازالت تشعر بالخوف مما هم مقدمون عليه

وبالفعل أخذ أبو الفداء وزوجته على الفور يجهزان الأغراض للرحيل من البلد وفى مطلع الفجر استقلوا العربة التى تجرها الاحصنة هو وهى وابنته وابنه فى طريقهم حتى خرجوا من حدود البلاد... وفى طريقهم كانت الزوجة حزينة وابنه وابنته لا يعرفان ما الذي يحدث وكلما سئلا يقول لهما أننا ذاهبون في رحلة.

ومر الوقت والعربة تسير في الصحراء في نفس الطريق الذي سلكه من قبل وأوصله إلى المنزل الذي وجد فيه الرداء

ولسوء الحظ أن ابنه حسن كان مريضا بنوبة برد شديدة واشتد عليه في الطريق لبرودة الطقس فقال له بصوت المريض: «أبي اشعر أنني متعب للغاية»...فشعر أبو الفداء بالحزن الشديد وقال:

«حسنا سنخيم في هذا المكان لنستريح وبعد طلوع الشمس نكمل»

وبالفعل نصب الخيمة وادخل أغراضه وأسرته فيها ولكن كان هناك مشكلة أن سرعة الرياح كانت شديدة للغاية وكان يخشى ألا تتحمل ولذلك أخذ يثبتها بقوة حتى لا تقذفها الريح

ومضى الوقت صعبا عليهم حتى طلعت الشمس وبمجرد أن وضح المشهد أمامه لمح البيت الصغير الذي وجد فيه الرداء فشعر بالسرور ودخل على أسرته وقال لهم: «هيا سنذهب من هنا»

فقالت الزوجة: «إلى أين؟»

«سنذهب الى البيت»

فلما سمعت الزوجة والابن والابنة كلمة البيت فرحوا وابتسموا وقالوا في صوت واحد: «سنذهب إلى البيت»...فتحسر أبو الفداء وقال بصوت المقهور الخجلان: «لقد فهمتموني خطأ فأنا اقصد بيت الصحراء الذي وجدت فيه

الرداء، فهو قريب من هنا...فهناك سنجد الأمان اكثر من هذه الخيمة وبالقرب منه ربما نجد النبع الذي تمنيته من قبل، فنحن سنحتاج للماء بالتأكيد»

فعاد الحزن اليهم من جديد وقالت الزوجة: «حسنا كما ترى»..ثم قامت وبدأت هي وهو يُحملان أمتعتهم من جديد حتى انتهيا ثم اتجهوا إلى المنزل الصغير وحين وصلوا دخلوه ووضعوا أغراضهم فيه وبعدها قال أبو الفداء لأبنه: «هيا يا بُنى استلقى على هذا الفراش فهو مريح للغاية وسيساعدك على الشفاء بإذن الله»

فقال الصبي: «حسنا يا أبي» ثم ذهب واستلقى على الفراش كما قال له أبوه وكان ابو الفداء حين دخل البيت ينظر حوله فى كل مكان وكأنه يبحث عن رداءا آخر ربما يكون موجودا فيه وكان ايضا يردد بداخله العديد من الامانى ربما يجد ان البيت يحقق امانى من بداخله ولكن آماله خابت ولم يتحقق اى شيء وبقي الحال كما هو....اما الزوجة والابن والابنة كانوا ينظرون الى البيت الصخرى الصغير الذى لا يوجد فيه شيء سوى الفراش البسيط المكون من الخوص وكانوا يشعرون باستياء وا لم وحزن فقد كان البيت اقل من البيت الذين كانوا يعيشون فيه قبل الرداء بكثير ولذلك كان الغم يغطى قلوبهم...ومر الوقت وهو وأسرته جالسون مهمومون ولا يعرفون ماذا سيفعلون في الأيام القادمة وبعد قرابة الست ساعات من الجلوس في صمت قالت الابنة: «أريد أن اشرب يا أمي»

فقامت الام لتجلب لها الماء ولكنها حين ذهبت لتخرج زجاجة المياه وجدتها فارغة فقالت لأبو الفداء: «لقد كانت آخر زجاجة معنا ونفذت هل هناك مكان قريب من هنا نجلب منه الماء»

«نعم فمؤكد أن النبع مازال موجود وهو قريب من هنا سأذهب واملأ الزجاجات في الحال» ثم ذهب بالفعل متجها إلى نبع المياه وظل يمشى حتى وجده فأبتسم وقال: «الحمد لله ها هو النبع»...فملء منه جميع الزجاجات ومشى في طريقه إلى البيت من جديد وحين اقترب سمع صوت بكاء يصدر من داخله فأسرع وحين دخل وجد زوجته وابنته تبكيان فقال وهو مفزوع:

«ماذا حدث؟»

فأجابت الزوجة قائلة: «لقد اختفى حسن»

فسالها وهو متعجب: «ماذا تعنى بأنه اختفى؟»

«لا اعرف ولكنه كان يرتعش من البرد فنادى علي وقال لي أريد أن أعود إلى المنزل يا أمي وبعدها اختفى ولا اعرف أين ذهب»

فلما سمع أبو الفداء هذا الكلام برقت عيناه وعادت ذاكرته إلى الوراء واستحضر اليوم الذي قضاه في البيت وبعد أن تذكر كل شيئ ابتسم ابتسامة المكتشف وقال: «إذاً هو...انه الفراش...نعم انه الفراش»

وبالرجوع الى الماضى لنعرف ماذا حدث سنرى انه منذ قرون عديدة كان هناك احد الرجال يبحث عن ملجأ يأويه لان الجنود كانوا يبحثون عنه بعد ان فر من

بلده هاربا...وحين وجد ذلك البيت الصخرى الذى وجد فيه ابو الفداء الرداء دخله يختبئ فيه وكان الليل قد حل فاشعل المصباح وجلس على الفراش الذى لم يكن هناك شيء بالبيت سواه وبعد ان شعر بالهدوء اخرج من جعبته احدى الروايات وكانت تسمى **الرداء** وكانت تحكى عن رداءا يحقق الامانى لمن يرتديه وبعد ان انهى القصة تنهد واستلقى على جانبه الايمن لينام وقبل ان يغمض جفنه قال:

«ياليتنى اجد ذلك الرداء الذى يحقق الامانى فكم انا احتاجه بشدة الان» ثم دخل فى سبات عميق

وظل نائما حتى اشرقت الشمس وحين استيقظ قام من على فراشه ليخرج ويبحث عن شيء يأكله فاذا به يتفأجأ بوجود رداء له نفس الشكل الذى كان مرسوما على الرواية التى قراها وهو الرداء نفسه الذى وجده ابو الفداء فقال فى ذهول

"ما هذا هل الامنية تحققت وهذا هو رداء الاحلام" ثم اخذ يمد يده ببطء ومن داخله امانى بان يكون هو بالفعل، ومخاوف من ان يكون مازال نائما ويحلم او ان مرض الوهم قد اصابه وجعله يتخيل ما لا وجود له وحين صار الرداء تحت قبضة يده وقبل ان يمسك به ليرتديه ويجربه اذا بالجنود يقتحمون البيت ففزع وانزل يده ونظر بعينان شاخصتان فاذا بهم يندفعون نحوه ويمسكون به ويجرونه خارج البيت وهو ينظر الى الرداء متحسرا ويتوسل اليهم ويقول «انتظروا انتظروا سوف آخذ ردائى انتظروا سوف اخذه فقط ارجوكم».... ولكنهم لم ينصتوا

اليه واخذوه معهم ليلقى مصيره المنتظر وهو مازال يصرخ ويتوسل بان يسمحوا له بأخذ الرداء

وبالعودة الى ابو الفداء الذى يقف سعيدا بانه عرف سر الفراش الذى كان فى الاصل هو مبعث القوة وزوجته التى لم تفهم تقف امامه فسالته: «ماذا تقصد بكلامك هذا؟ ولماذا تبتسم هكذا؟»

فأجاب قائلا:

«لقد تذكرت ما حدث من قبل فأنا عندما قضيت ليلتي في هذا المنزل نمت على هذا الفراش ولأن البرد كان قارسا تمنيت أن أجد الحطب وبمجرد أن تحركت لأقوم لأبحث عن حطب وجدت حطبا بجانبي ولم اعرف من أين أتى...ولكنى الآن عرفت أن الحطب جاء بقوة الفراش التي تعادل قوة الرداء... يالا غبائي كيف لم افكر طول الفترة الماضية في أمر كهذا كان يجب أن أتذكر أن الأماني بدأت منذ وجود الحطب قبل أن ارتدى الرداء .....كيف نسيت ولم افكر في هذا الأمر طوال المدة الماضية يبدو أن فرحة الرداء أشبعت نفسى... وحزني عليه أخذ عقلي»

فقالت الزوجة التي كانت تستمع لكلامه وتحليله لما حدث معه ولكن لا تفكر في شيئ سوى ولدها: «هذا يعنى أن ابني ذهب إلى المنزل؟»

«نعم بالتأكيد وعلينا أن نجرب الآن»...ثم ذهب مسرعا وهو في قمة الشغف والترقب واستلقى على الفراش وقال متمنيا: «أتمنى أن يختفى الرداء من عند سالم وأن يعود إلي مرة أخرى»...فعلى الفور وجد الرداء قد عاد ففرح وقال

وهو مبتسم ابتسامة النجاة: «الحمد لله لقد عاد الرداء وسيرجع الحق لأصحابه»

فقالت الزوجة وهى سعيدة بسعادة أبو الفداء التي ملئت المكان بهجة: «الحمد لله.. ولكن يا رجل أريد أن أرى ابني الذي اختفى»

فرد وهو مازال مبتسما وفرحا كالطفل الصغير: «سامحيني فقد بقيت احلم بهذا اليوم لشهور مرت علي كأنها مئات السنوات ولذلك جعلته أولا ولكن لا تقلقي سأتمنى ما تريديه» ثم ارتدى الرداء وكأنه يريد أن يجربه أو كان متشوقا له... فالفراش كان يكفى ولكنه ارتداه لإشباع الفراغ الذي كان يشعر به فقال متمنيا:

«أتمنى أن تعود ابنتي وزوجتي إلى البيت فتحققت الأمنية وعادتا إلى البيت أما هو فقال فى نفسه: «والآن يجب أن نعاقب الخائن اللعين ونرجع الحقوق»...ولكنه قبل أن يتمنى شعر بأن ارض البيت تهتز وكأن هناك زلزال فجرى مسرعا حتى خرج منه...وبعدها بلحظات انهدم البيت وتساوى بالأرض وكأن الأرض قد ابتلعته ..فتسائل وهو متعجب:

«لما حدث هذا يا ترى؟!» ثم أخذ ينظر متحسرا عليه وبعدها قال: «ما حدث قد حدث ....والحمد لله أنني لحقت الفراش قبل أن يضيع هو الأخر ويضيع معه حلم استعادة الرداء المسروق والآن يجب أن أعود وأُبين للناس الأمر وأُعاقب سالم»...وقبل أن يذهب أخذ يفكر ماذا سيفعل حين يعود وبعد التفكير تمنى أن يجعل سالم بدون جنود ثم يُقيد ويُلقى بجانب التلة والأمنية

الثالثة كانت أن ينادى صوت في الناس بأن يجتمعوا هناك ويقفوا وينتظروا أمرا هام...فتحققت الأماني على الفور وصار جنود سالم يتطايرون ويعود كل واحد منهم لمكانه الذي كان فيه قبل أن يجلبه سالم للعمل عنده...فمنهم من عاد لبلاده البعيدة التي أتى منها...ومنهم من عاد لبيته بنفس البلد

وصار الصوت الذي ينادى على الناس بأن يجتمعوا عند التلة يسمعه الجميع فيهرولون ناحيتها وهم متعجبون مما يحدث وقد زاد العجب عندما رأوا سالم مقيد وملقى على الأرض هناك ومن ضمن هؤلاء بالطبع شاهين والذي فزع وتملكه الرعب حين رأى منظر أخاه مقيد عند التلة ولهذا تركه مبتعدا عن المكان بعد أن عزم على الهروب من البلد...

أما أبو الفداء فقد ذهب منطلقا بحصانه ناسيا أن يتمنى العودة ليعود في الحال كما حدث فى المرة السابقة وحين وصل ورآه الناس سألوه متعجبين: «ما الذي يحدث يا أبو الفداء؟ لما سالم مقيد هكذا؟ وما هذا الرداء الذي ترتديه؟»

فقال ابو الفداء ساخرا: «لقد اصبح سالم من جديد بدون لقب الملك بعد لحظات واحدة من سقوطه تحت الاقدام»...صمت الناس شاعرين بالقليل من الخجل من انفسهم اما هو قد اشار الى سالم واكمل قائلا:

«ان كنتم تريدون معرفة ما الذى يحدث فاسألوه هاهو امامكم، هيا تكلم واخبرهم ام تريد ان اتحدث انا»

فخفض سالم رأسه ولم يقل كلمة فقال ابو الفداء:

«هذا الغادر هو من جعل أرديتنا تختفى حتى يتحكم في البلد ...وهو من ارسل اللصوص ليسرقونا ليدب الخوف فينا ونرضى بكلامه وبحكمه...وهو أيضا من جعل اسمه يربح وهذا هو الأمر الغبي الذي كشف لعبته...فقد كتبت في ورقتي اسم آخر فرأيتها قد تغيرت وصار اسمه المكتوب ومن هنا عرفت انه الخائن

ورغم أنني عرفت هذا منذ فترة إلا أنني خشيت أن يحدث فتنة في البلد ولذلك التزمت الصمت... ولكنى عندما رأيت الظلم يستفحل حتى وصل لبناء سجن ليسجن فيه البلد بأكمله تكلمت وبدأت بالكلام معه ولكنه لم يستجيب وأمر بحبسي ثم تركني بعدها بساعات

وعندما خرجت تكلمت مع صالح ومع بعض الناس هنا ولكنى وجدت منهم الخوف والحذر والعجز عن فعل شيئ وبعد ذلك عرفت لما تركني بساعات فقد أشاع بينكم أني مجنون ورغم أن الكثير منكم صدق كلامه إلا أنني سامحت الجميع وكأن شيئا لم يكن وها هو الان امامكم لتعاقبوه عما فعله»

فأخذ الناس الغاضبون ينظرون لسالم بغيظ وحقد وكره شديد والكل يريد أن يمزقه بأسنانه ثم نظروا لأبو الفداء وسالوه: «ولكن كيف استعدت الرداء؟»

«في المكان الذي وجدت الرداء فيه...كان هناك فراشا بنفس قوته، منه استعدت الرداء وجردته من جنوده وقيدته كما ترونه الآن»

فقال سالم وهو حزين ومقهور: «هذا كله بسبب أخي شاهين... هو من أغواني وجعلني افعل هذا لقد قلت له كثيرا أننا سنظلم الناس ولكنه خدعني

بكلام حتى افعل ما فعلت فأرجوكم سامحوني...اغفروا لي ما فات ولتنظروا الى الاخوة والصداقة التى كانت بيننا»

فقالوا جميعا والغضب في عيونهم كنيران البركان: «وهل انت صغير كي تسمع كلام أخوك.. لما أطعته وخنتنا؟ ولما لم ترعى انت الصداقة والاخوة التى كانت بينك وبيننا»

فتوسل إليهم قائلا: «يا إخواني سامحوني فقد عاقبني الله وها أنا الآن أمامكم اطلب السماح»

فرد أبو الفداء مستنكرا: «تقول أن شاهين هو السبب» ثم ابتسم ابتسامة السخرية واكمل قائلا: «وما الذي قاله لك؟ وكيف أقنعك أيها الكبير العاقل؟»

فأجاب والدموع تكاد تنزل من عيناه:

«لقد اقنعني بأن هناك خطرا في امتلاك كل بيت لشيئ خطير كالرداء وان البلد لا يمكن أن تستمر هكذا بدون فرد يحكمها، فقد كنت أخشى من أن يقع الرداء في يد عدو لنا ويجردنا من قوتنا ويستولي على البلد باكمله»

فأبتسم أبو الفداء من جديد وقال ساخرا: «نعم... فقلت تستولي عليها انت بدلا من العدو اليس كذلك»..

ثم اكمل قائلا: «اسمعني جيدا يا رجل... كل ما قلته هي أعذار اقبح من ذنوب وانت لم تكن تعمل لصالحنا كما تقول ولكن الأمر أعجبك وأعجبتك

السيطرة والتجبر والطغيان الذي احبه هواك ...ولكنك خُدعت ولأريك ما سيجعلك تتحسر اكثر سأتمنى أن نرى ما كان يخطط له شاهين في المستقبل»

فلما تمنى أبو الفداء ظهرت على الفور صورة شاهين واضحة لأعين الناس وهو يحدث زوجته ويقول لها:

«لا تقلقي فأنا بالطبع لم افعل كل هذا من اجل عيون أخي كما تظنين فأنا جعلته في الواجهة حتى يبدو الأمر طبيعيا أمام الناس

فهو الكبير والذي كان يصلح للظهور في الواجهة وتولى الحكم بدون أن يشك فيه احد .. ولكن بالطبع بعد أن يموت سأكون أنا الأجدر بالحكم بعده»

فردت الزوجة مستنكرة وعابسة: «وهل ستنتظر حتى يموت؟» فأجاب مبتسما ابتسامته الخبيثة: «بالطبع لا ولكن سأنتظر حتى تأتى الفرصة المناسبة حتى أتخلص منه»

وفى هذه اللحظة ذهبت الصورة وعاد أبو الفداء للحديث قائلا: «ها انت قد رأيت كيف كان يخطط لك أخاك العزيز الذي كنت تأويه في منزلك هو وزوجته وابنه ..ويكفى انك ترى الناس جميعا ولا تراه، فمؤكد انه هرب وتركك وحدك»

وكان سالم يبكى بحرقة مما سمعه ولا يقدر على الكلام والناس ينظرون إليه وهم ماقتين عليه والبعض شعر بالشفقة تجاهه أما أبو الفداء فقال: «مهما بكيت وتوسلت لا اقدر أن اصفح عنك ولذلك ستُلقى انت وهو في السجن وبعدها سنتشاور لنرى ماذا سنفعل معكما ولهذا أتمنى أن تلقى انت وأخوك في السجن

الآن».. فطار سالم وألقي في السجن هو وشاهين...وبعدها ظهر السرور على الناس وصارت ابتسامة كل منهم مشرقة كشمس الظهيرة وقالوا لأبو الفداء فى لهفة: «والآن اعد لنا أرديتنا أيها البطل»

فأبتسم أبو الفداء وقال: «حسنا ستقومون في الغد فتجدوا الأردية قد عادت من جديد»

فقال احدهم: «ولما في الغد نريدها اليوم» فرد أخر عليه: «يا رجل اصبر وهل كنت تحلم بهذا»

فقال الرجل مبتسما: «حسنا معك حق» وقال الجميع:

«شكرا لك يا افضل من فينا» ثم ذهبوا إلى بيوتهم وهم فى قمة السعادة إلا واحد فقط ظل واقفا ورأسه محنية إلى الأسفل ويبدو عليه مظاهر الخجل وكان هذا الرجل هو نعمان فنظر إليه أبو الفداء وساله: «أتريد أن تقول شيئ؟»

فأجاب بصوت منخفض: «أظن انك لن تعيد إلي الرداء، أليس كذلك؟»

فقال أبو الفداء والذي كان يشعر بعدم الصفاء من ناحية نعمان:

«اسمعني يا نعمان...سأتكلم معك بصدق، أنا لم أنسى ما فعلته معي فإن كان الكل صدق أنني مجنون كان من المفترض ألا تصدق انت بالتحديد وحتى إن صدقت كان يجب أن تمتنع عن المجيء إلي والسخرية مني كما فعلت...ورغم أني كما قلت لم أنسى ما حدث إلا أنني سأعاملك بأخلاقي ولن افعل مثلك وسأعطيك الرداء كباقي الناس...رغم انك كنت اول من رأيته قد استخدم

الرداء بصورة خاطئة حين غرتك قدرته ونسيت قدرة خالقه فانت اول من رأيت خطأه وهو الكفر بنعمة الله بنسيان قدرته ثم زدت على ذلك حين اتيت وسخرت منى دون ان خجل او مراعاة لاى شيء... ولكن كما قلت لك انا سأعاملك باخلاقى وساعطيك الرداء مثل باقى الناس»

ثم سكت ابو الفداء فوجد نعمان يقف صامتا فساله:

«اتريد ان تقول شيئ؟»...

وكان نعمان بعد تلك الكلام يشعر بالنار تستعر في قلبه من كثرة الضغط النفسى الذي كان يشعر به...فهو مقهور من تأنيب أبو الفداء له بهذا الشكل ولكنه لم يستطع أن يقول له انه لا يريد الرداء فهو بالطبع يريده .... ولذلك تحمل وقال له حين ساله: «لا...لا اريد شيئ... شكرا لك» ثم ذهب إلى بيته وهو يتمزق من الغيظ

وبالفعل نفذ أبو الفداء ما وعد الناس به... فحين استيقظ الكل وجدوا الأردية قد عادت ففرحوا وصاروا يرقصون من السعادة... وحين ذهبوا إليه كي يشكروه قالت لهم زوجته: «لقد سافر زوجي وقال انه سيقضى بعض الوقت في احد الأماكن ولكن لم يخبر احد أين ذهب أو متى سيعود»

وفى نفس اليوم الذي عادت فيه الأردية كان نعمان شديد الفرح حين وجد الرداء ولم يصبر ولو ساعة واحدة حتى ارتداه وهو في غرفته وتمنى قائلا:

«أتمنى أن يلتهم أبو الفداء اليوم اسد لعين ويمزق لحمه ولا يبقى منه قطعة سليمة»...وفجأة وجد نعمان شيئا غريبا يحدث....فقد وجد الرداء يشتعل ففزع وخلعه سريعا وألقاه على الأرض وظل ينظر إليه حتى احترق بالكامل فأزداد الغيظ فى قلبه وقال وهو يكاد يموت من شدة الانفعال والمقت:

«أبو الفداء الخبيث لقد خدعني...كنت اعرف انه سيخدعني ويرسل إلي رداءا مزيفا» ثم قال بصوت جهور:

«يا له من ملعون» وضرب أحد اواني الزينة بيده وجعله يقع على الأرض لينكسر مصدرا صوتا عاليا... ولما سمع الصوت ابنه الصغير دخل عليه الغرفة واقترب منه وساله قائلا بعد ان وضعه يده على كتفه الايمن:

«ماذا حدث يا أبي؟»

فدفعه نعمان بيده في صدره دفعة قوية وهو يقول: «اغرب عن وجهى الآن»

فأندفع الفتى الصغير الهزيل ضعيف القوى من شدة الضربة أمتارا إلى الوراء ثم سقط على الأرض وفقد الوعى... فلما رآه نعمان ذهب إليه سريعا وهو مفزوع وأخذ يحاول إيقاظه وهو يقول: «ماذا حدث لك يا بنى... هيا انهض هيا انهض» ولكن الصبي لم يبدى اى استجابة فحاول من جديد افاقته بكل الطرق ولكنه وجده هامدا تماما...فأخذ يقترب بيده من صدره ببطء وهى ترتعش من الخوف وحين وضعها على مكان نبض القلب لم يشعر بشئ وصار على يقين انه فارق الحياة...فأخذ يضحك مثل المجنون ويقول: «لقد قتلت ابني بيدى، لقد قتلت ابني بيدى».. وفى نفس الوقت دخلت عليه زوجته فلما رأت

الصغير ملقى على الأرض ونعمان يبكى بحرقة بعد أن تحول من الضحك إلى البكاء قالت في فزع: «ماذا حدث؟»

فأجاب نعمان والدموع تنزل من عيناه كالسيل: «لقد مات.. لقد مات بيدى...أنا من قتلته»... فلما سمعت الأم هذا الكلام سقطت مغشيا عليها واكمل نعمان البكاء وهما بجانبه... وهكذا انتهت أسرة بأكملها في لحظات شيطانية ظالمة...فأبو الفداء لم يخدعه كما ظن، فما فعله انه تمنى عودة الأردية ولكنها عودة مشروطة بما يتمناه المرء فإن تمنى احد شيئ فيه شر يفقد ردائه إلى الأبد حتى انه جعل الشرط على نفسه

وكان هذا هو سبب سفره واختفائه عن الأنظار فقد تيقن أن الناس ستلجأ إليه حين تفقد أرديتها ولذا فضل الابتعاد

فبعد مرور اسبوع على اليوم الذي حدث فيه ما حدث لنعمان وأسرته كان احد الرجال اسمه هلال جالسا مع صديقه فقال له وهو متعجب بشدة:

«يا رجل هل انت احمق، لما تشغل بالك بامرأة متزوجة ولديها أولاد واكبر منك سنا وأمامك من هن اجمل منها وينتظرن كلمة منك...انت تبحث عن المصاعب وحسب»

فقال هلال: «لا اقدر يا أخي فأنا سأجن...أعشقها وأريدها لي بأي طريقة»

فساله صديقه ساخرا: «وماذا ستفعل، هل ستذهب وتطلب خطبتها من زوجها» وأخذ يضحك

فأشتعل هلال غيظا ورد قائلا: «هل تسخر منى، هيا اغرب عن وجهى لا أريد أن أراك... هيا من هنا»

فقال صديقه وهو مستاء: «ما بك هل ستفرغ غضبك علي» ثم قام وهو يقول: «سأذهب ولن أعود هنا من جديد ولتبقى انت مع احلامك اللعينة حتى تفقد عقلك»

فقال هلال: « هذا افضل، فأنا لا أريد أن أرى وجهك مرة أخرى»

فرد صديقه وهو غاضب: «حسنا لن ترى وجهى مجددا» ثم مشى ذاهبا إلى بيته وهو ماقت عليه أما هلال فظل يسال نفسه والشيطان مسيطر على عقله ماذا افعل يا ترى.... ماذا افعل حتى أنالها...ماذا افعل....ماذا افعل...ثم ابتسم ابتسامة خبيثة وقال: «ولما أُحير نفسى وبيدى حلال العقد» ثم قام وارتدى الرداء وتمنى أمنية وهي

"أن يُقتل خالد اليوم " وكان خالد هذا هو زوج المرأة التي يريد أن يتزوجها

وبعد أن تمنى وجد ما حدث مع نعمان يحدث معه بالضبط فقد وجد الرداء يشتعل فتفاجأ وفزع وخلعه سريعا وألقاه على الأرض وهو يقول: «ما هذا، ما الذى يحدث»

وظلت النار تأكل الرداء حتى صار رمادا وبقي هلال مذهول ولا يعرف لماذا احترق...فخرج مسرعا من بيته قاصدا بيت أبو الفداء وعندما وصل قالت له زوجته: «والله يا أخي أبو الفداء لم يعد حتى الآن»

فسالها: «ومتى سيعود؟»

«لا اعرف»

فقال هلال المفجوع والمرتبك في نفس الوقت: «حسنا حسنا .. ولكنى أرجو أن تبلغيه أنني أريده في أمر هام عندما يعود»

فقالت: «حسنا سوف اخبره»..ومضى هلال وهو لا يعرف ما الذي حدث واقتادته قدماه إلى صديقه الذي كان معه منذ قليل وحين وصل ساله: «لماذا أتيت من جديد؟.. الم تقل منذ قليل انك لا تريد رؤيتي؟»

فرد قائلا: «هذا ليس وقتا لمثل هذا الكلام هناك أمرا هام قد حدث»

فساله الصديق متعجبا: «ما هو هذا الأمر الهام؟»

«حين تركتني ارتديت الرداء وتمنيت أمنية وبعدها انتظرت تحققها ولكنى وجدت الرداء قد اشتعل واحترق حتى صار رمادا في ثواني»

فتفاجأ صديقه وشعر بالفزع وقال له: «لحظة واحدة»..وذهب ليرى هل حدث لردائه أيضا نفس الشيء أم لا... فوجده كما هو فأخذ نفسا عميقا وعاد لهلال من جديد وقال له: «لقد وجدت رداءي كما هو»

فتساءل هلال في اندهاش: «إذاً لقد حدث هذا لردائي فقط...لما يا ترى؟» ...فقال صديقه: «لا اعرف...ولكن قل لي ما هي تلك الأمنية التي تمنيتها؟»

فأرتبك هلال وقال: «تمنيت أمنية وحسب»..

فقال صديقه مستنكرا:«اعرف أنها أمنية وحسب ولكن أريد أن اعرفها...أم أنها سر!»

فغضب هلال وقال: «هل ينقصني أن تحقق معى، قلت لك أمنية وحسب.. كما يتمنى اى إنسان»

فقال صديقه الذي اغتاظ منه: «ما دمت لا تريد أن تقولها لماذا أتيت إلي هنا ولماذا تسألني عما حدث لك»

«نعم لقد أخطأت حين جئت إليك»... ثم قام وخرج من بيت صديقه وذهب متجها إلى بيته وهو عابس الوجه وحزين ومهموم على ما حدث وبالطبع لم يستطع فعل شيئ سوى الخضوع لأمره الواقع

وبعد عدة أيام أخرى كان رجل من سكان البلد أيضا وهو إبراهيم جالس هو وزوجته فقالت له:

«فلتبقى هكذا لا تحرك ساكنا حتى تصحو فلا تجد الرداء وكل شيئ فعلته به ستراه مدمرا»

فسالها إبراهيم وهو متعجب: «وماذا علي أن افعل برايك»

«قُم وتحرك وانتهز الفرصة فأنت بيدك سلاح قوته في الأسبقية واقضي على سلاح أخوك الحاقد ذاك الذي لا يُخفى الحقد حتى في كلامه...فهو مؤكد

يريدك أفقر منه كما كنت ويريد أن يجعلك خادمه كما كنت وإن لم تتحرك سيسبقك ويتمنى أن يضيع ردائك وكل مالك»

فقال إبراهيم: «لا...لا اعتقد أن شره يصل لهذه الدرجة، فبعد ذلك الرداء لا احد يفكر في الأخر فكل واحد مشغول بحاله وبالنعيم الذي يحيا فيه...فما الداعي لأن يفعل احد بأحد ما تقوليه... هذا شيئ لا يصدقه عقل»

فابتسمت ابتسامة سخرية ومقت وقالت: «أمرك عجيب، وكأنك نسيت سريعا سالم والذي فعله... ولولا أبو الفداء لجعلنا كلنا عبيدا له في اقرب وقت»

فلما سمع إبراهيم هذا الكلام شرد ذهنه وأخذ يفكر قليلا ثم قال بعدها: «والله لا اعرف فهذا الأمر محير حقا فكلامك يبدو صحيحا..ولكنى أخشى أن اكون ظالما»

فقالت الزوجة: «لا محير ولا شئ، هيا قم الآن وتخلص من سلاح عدوك قبل أن يفعلها هو وتندم وقت لا ينفع فيه الندم عليك ان ترتدى الرداء وتتمنى ان يختفى رداءه ولا يعود اليه ابدا حتى ولو بقوة رداء اخر حتى تكون بأمان تام»...فازدادت حيرته وأخذ يفكر من جديد ثم قال:

«في الحقيقة هذا الأمر صعب ويحتاج إلى وقت لاتخاذ قرار فيه فأمهليني قليلا حتى اتخذ قرارا صائبا لا يجعلنى اندم»

فشعرت الزوجة بالغيظ وقالت: «يبدو انك لن تسمع نصيحتي وكأنني عدوتك...فكما تريد...انتظر حتى تصبح ذات يوم فتجد نفسك خادما لأخيك كما كنت بالماضي»

فصمت إبراهيم من جديد وبعد وقت من الصمت والتأمل قال: «لن يمر اليوم إلا وقد حسمت هذا الأمر إما بالفعل أو بالتراجع»

فشعرت الزوجة ببعض الطمأنينة وقالت: «حسنا ولكن لا تطل اكثر من ذلك فالوقت ليس فى صالحك»

فرد قائلا: «حسنا معك حق» ..وبالفعل ظل إبراهيم يفكر لساعات فيما يمكن أن يفعله حتى توصل أخيرا لقرار وذهب إلى زوجته ليخبرها به وحين صار أمامها قال لها: «لقد حسمت الأمر أخيرا واتخذت القرار»

فلما سمعت الزوجة كلامه شعرت بالقلق الشديد وسالته وهى خائفة أن يخيب أملها:

«وماذا قررت أن تفعل؟»

«لقد حسمت الأمر بأن افعل ما قُلتيه، فأنا عندما فكرت في الأمر تذكرت ما كان يحدث من قبل وتأكدت انه ربما يأتي اليوم ويُرجعني كما كنت خادما له...فأنا اشعر دوما بكرهه الشديد لي وعشقه لإذلالي ولذلك لن اترك له ولو فرصة واحدة ليعود بها كما كان وأعود أنا كما كنت»

فأنشرح قلب زوجته وقالت له وهى تكاد تطير من الفرح: «هذا هو الكلام السليم...وانت لن تفعل به ما سيفعله بك فأنت ستتجنب شره وحسب ولتترك له ما يملكه كما هو»

فرد إبراهيم قائلا: «نعم فأنا قلت هذا أيضا» وبعدها ذهب إلى غرفته وارتدى الرداء ثم قال: «أتمنى أن يفقد أخي ردائه الآن ولا يعود له من جديد»

وبعد أن انتهى وجد الرداء يشتعل كما حدث مع هلال ونعمان ففزع وخلعه ورماه على الأرض وظل ينظر إليه وهو يحترق في ذهول و يقول: «يا ويلي لقد ضاع الرداء... لقد أضعت الرداء من يدى» ... ثم خرج من غرفته كالثور الهائج وضرب زوجته على وجهها فصرخت وقالت: «ماذا حدث؟!»

فقال لها وهو مشتعل من الغضب: «أيتها اللعينة، لقد احترق الرداء حين تمنيت تلك الأمنية»

ففزعت وتساءلت وهى في قمة الرعب: «كيف؟ ..ولماذا؟»

فقال: «وهل تسأليني.. مؤكد انه من أمنيتك الحمقاء.. فيالا غبائي ورعونتي...لما أطعتك واتبعت أفكارك المريضة...لقد ضاع الرداء أيتها الغبية»

وكانت الزوجة تبكى بحرقة ولسانها وكأنه قد شُل ولكنها حاولت التبرير فقالت: «لقد كنت أسعى لمصلحتك»

فقال وعيناه ينبعث منهما الشر: «هيا اغربي عن وجهى» ثم دفعها دفعات قوية بيده كادت تسقطها وهو يقول: «هيا، هيا من هنا اذهبي لبيت امك.... وإن لم أجد حلا وأُعيد الرداء فلن تعودي أبدا هيا هيا»

فذهبت الزوجة كما أمرها ودموعها تهطل مثل السيل وكان هذا هو المنزل الثالث الذي يفقد ردائه...وبعد يومان كان هناك منزلا آخر تعيش فيه أسرة بها فتاة تدعى غيداء ...وكانت تلك الفتاة لها صديقة تمت خطبتها على احد الشباب منذ يومين وفى وقت كان الجو مناسبا تسللت غيداء إلى غرفة أبيها وأخرجت الرداء وابتسمت وقالت: «ها هو رداء الأحلام» وارتدته سريعا ثم قالت:

«أتمنى أن يراها اقبح من القرد وان يقول لها هذه الكلمة في وجهها» ..وعلى الفور حدث ما حدث مع نعمان و هلال وإبراهيم واشتعل الرداء ...فرمته غيداء وهى مذعورة وحين رأته صار رمادا ظل قلبها يدق بسرعته القصوى من شدة الخوف وتساءلت وهى متعجبة :« يا ويلي ..ماذا حدث له .. لو علم أبي لقتلني.... على أن أغادر هذه الغرفة الآن»

ولذلك لم تلبث أمامه وخرجت مسرعة وذهبت إلى أمها التي كانت في حظيرة الدجاج قبل أن يراها احد ويعرف ما حدث

وبعد عدة ايام عاد هلال الى صديقه من جديد بعد ان تردد على بيت ابو الفداء كثيرا ولكنه يأس من عودته ولانه كان يريد الرداء لم يجد سوى صديقه

الذى خاصمه من يوم احتراق رداءه وحين رآه قاله له صديقه وهو عابس الوجه:

«ما الذى اتى بك من جديد»

فاجاب هلال قائلا:

«اعتذر لك عما بدر منى يومها فقد كانت حالتى النفسية سيئة بسبب ما حدث»

فقال صديقه: «حسنا لا بأس هيا ادخل»

فدخل هلال وحين جلس وضايفه ساله:

«اخبرنى اذا ما تلك الامنية التى جعلت رداءك يحترق»

فرد هلال فى خجل: «لقد تمنيت ان يموت خالد زوجها حتى استطيع ان اتزوجها»

فلما سمعه صديقه برقت عيناه وقال وهو يشعر بالاسيتاء:

«الهذا الحد وصل جنونك بها»

فقال هلال بأسى وصوت منخفض:

«نعم لم اكن اتخيل اننى ساعيش دونها ولكن بعدما حدث اشعر اننى شفيت، فقد ندمت واريد ان اعرف طريق ابو الفداء حتى يعيد الي الرداء واتمنى ان تساعدنى فى هذا»

فساله بتعجب: «ماذا تريد منى؟»

فقال هلال: «اريدك ان ترتدى الرداء وتعرف اين هو ابو الفداء ارجوك، فانا اريد ان اذهب اليه واتحدث معه»

فشعر صديقه بالقلق وصمت لوقت وهو ينظر اليه ثم قال:

«ولكن عليك ان تعدنى الا تتمنى به شيئ يخص تلك المرأة مرة اخرى»

فقال هلال بعجله:

«بالطبع اعدك لا تقلق فانا نسيت الامر الى الابد حتى اننى صرت اكرهها واكره حتى التفكير فيها»

فقام صديقه وهو يقول حسنا ثم مشا متجها لغرفته واخرج الرداء وارتداه وذهب الى هلال وجلس بجانبه وقال:

«اتمنى ان اعرف مكان ابو الفداء»

وبعد ان تمنى اشتم رائحة تنبعث من وراء ظهره فأدار رأسه فاذا به يجد الرداء قد اشتعل فخلعه ورماه واخذ ينظر اليه حتى صار رماد وبعدها نظر الى هلال

والشر يملؤ عيناه مما جعل هلال المرعوب يفر هاربا فجرى وراءه باقصى سرعته حتى يلحق به ويعاقبه بالرغم من وزنه السمين الذى يحول بينه وبين الركض بسرعة

ومضت الأيام حتى فات شهران كاملان وأبو الفداء مازال متغيب عن البلد ولا احد يعرف مكان وجوده

وفى احد الأيام كان جالسا على كرسي خشبي فى حديقة جميلة لمنزل صغير يعيش فيه منذ أن ترك بيته وأسرته...

وكان المكان رائعا للغاية فالحديقة مليئة بالزهور الملونة والطيور في كل مكان تعزف اجمل ألحان يمكن أن يسمعها إنسان وكان أبو الفداء في هذه اللحظة جالس يتفكر فقال لنفسه:

«يا ترى ماذا حدث لأهل البلد ويا ترى كم واحدا مازال معه ردائه» ثم أخذ يفكر قليلا وقال: «ولما أتسائل وأُحير نفسى» .. ثم قام ودخل المنزل وجلب الرداء وارتداه وعاد وجلس من جديد ثم قال:

«أتمنى أن اعرف كم عدد من بقى معهم الرداء».. فوجد ورقة شجر كبيرة تتدلى من الأعلى حتى سقطت أمام عيناه وكان مكتوب عليها

"لا احد"

فتفاجأ وقال: «لا احد! لا حول ولا قوة إلا بالله... أبهذه السرعة أضاعه الكل» ثم صمت قليلا وكانت الحسرة تملأ قلبه ثم تمنى من جديد قائلا:

«اريد أن اعرف ما هي أحوال الناس»... فظهرت على الفور صورة رجل أمام عيناه من أهل البلد يبكى هو وزوجته وأبناؤه...وكان أحد أبناؤه ملقى على الأرض و بدا انه صريع وكان يقول: «يا ليتني ما أضعت الرداء فلو كان معى لما استطاعوا أن يقتلوك يا بنى»

فشعر بالغم والأسى ومسك رأسه ثم تمنى ان يرى غيره

فرأى رجلا جاثيا أمام مواشيه النافقة وهو يتحسر ويقول: «لقد ضاع كل شي..ضاع المال وضاع الرداء وسأعود فقير كما كنت وسنعود لمد الأيدي كما كنا، يا حسرتا على الحلم قصير الأمد»

فأزداد الغم في قلبه وقال: «اريد أن أرى احد آخر»

فوجد صورة أُم تبكى هي الأخرى وتقول: «لقد راح الرداء ولم نعرف طريق أبو الفداء وراحت معه ابنتي فلو كان موجودا لوجدنا ترياقا للسم ولكنه اختفى وضاعت ابنتي»

فقال أبو الفداء: «لا هذا لن ينفع» وبدون تفكير تمنى قائلا:

«اريد أن تعود الأردية لهم من جديد وبدون شروط»... وفى لحظة وجد ردائه يشتعل فخلعه وألقى به على الأرض وحدث كما حدث مع غيره وتحول الرداء في ثواني إلى رماد...فنظر إليه وهو متحسر ومتحير فهو لا يعرف لما حدث هذا

ثم جلس وأخذ يتأمل لوقت من الزمن وبعدها ابتسم ابتسامة الرضى ثم قام وجمع الرماد وحفر بيده حفرة صغيرة ووضعه فيها ثم اغلق الحفرة من جديد وذهب وجلب قطعة خشب وكتب عليها

(هنا مثوى الرداء)

وكتب بجانب هذه الجملة المدة التي استمر فيها الرداء موجودا في حياته حتى انتهى والتي لم تكن طويلة فهي لم تزد عن عام واحد

وقام بغرسها فوقه وكأنها شاهد قبر وهو في قمة الأسى والألم والدموع تكاد تسقط من عينيه فقد كان يشعر وكأنه فقد احدا عزيزا عليه

ثم بعدها عاد للجلوس على كرسيه واخرج الورقة والحبر والقلم الذين لا يفارقوه أبدا.. فقد كان يعشق كتابة خواطره وبدأ برسم دائرة وكتب بداخل الدائرة كلمتان هما

أرض و بشر

ثم كتب خارج اطار الدائرة

طعام وشراب ودواء لأى داء ونعيم بلا حدود

ثم توقف عن الكتابة وتسائل قائلا

وماذا بعد؟

واخذ يفكر من جديد وبعدها قام بتمزيق الورقة ووضعها بجانبه وبدأ يكتب فى ورقة اخرى وما كتبه كان

" هكذا الإنسان بأهوائه ونفسه التي لا ترضى ولا تحمد الله على نعمه...تُحول كل شيئ جميل إلى شيئ كريه...تحول الراحة والطمأنينة إلى قلق وخوف...تحول النعمة إلى نقمة وشقاء...تحول الأفراح إلى الأحزان...وتصير على يده الأحلام التي أضحت واقعا رفاتا لا ينبعث من ذكراه سوى الألم"

وبعد أن كتب هذه الكلمات ثنى الورقة ووضعها هي و القلم والحبر في جيبه وقام وبدأ يحمل أغراضه حتى انتهى من تحميلها على حصانه وانطلق عائدا إلى منزله

****